

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العنية الحصرى - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للقصة والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ - أول أغسطس سنة ١٩٣٨

العدد ٣٧

من أحسن القصص



فهرس العدد



	صفحة
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...	٦٨٢ حرمة القبور ...
بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ...	٦٩٢ ثروة لم تخطر على بال ...
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ..	٦٩٤ الحب فوق الجبل ...
بقلم الأديب عبد الله الرياشي ..	٦٩٦ شهادة الصلاحية للزواج ...
بقلم السيد محمد العزاوى ...	٧٠٥ يد الهندى ...
بقلم الأديب نجيب محفوظ ...	٧١٢ نكت الأمم ...
بقلم السيد صلاح الدين المنجد ..	٧٢١ المجنونة ...
بقلم الأديب مصطفى صبحى ..	٧٢٤ الكأس وقطعة النقود ...
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...	٧٣٣ حاجى بابا فى انكلترا ...
للكاتب اسيدار جودورف ...	
للكاتب الايطالى بوكانشو ...	
عن الانجليزية ...	
للكاتب الفرنسى بول بورجيه ...	
للكاتب الأمريكى لوريمر استودارد	
أفصوصة مصرية ...	
للكاتبة الفرنسية ماري بسيرى ..	
أفصوصة مصرية ...	
تأليف جينز موير ..	

أسود مشبع بالبتروول والهباب فتخرج من
الدخان أكثر مما تبعث من ضوء .
وكنا من الضيق والضنك بحيث
كانت أي تخشى على عفة أخواني من
إخوتي ، وكانت تمنعم دائماً قائلة : « إن
اختلاط الجنسین خطر » ولنا صممت
أن تكون هي ورجلها حجاً باحجزاً بين
البنات والصبيان من أسرتها
البائسة

فسأله القاضي : ألم تكن
تلك المرأة تخشى على عفة الصبيان
من بعضهم بعضاً وكذلك البنات ؟
فأطرق التهم وقال دون أن
يرفع بصره إلى وجه القاضي :

— لم يكن الفساد قد وصل
إلى هذا الحد في القرى . ولا
تنس أن هذا التاريخ يرجع إلى
أربعين عاماً . فنظر إليه القاضي
وقال : استمر ...

— وكان أبي — تممده الله
برحمته — مدمن الشرب فكان
يضيع كل ما يربحه ويربجه أي
وإخوتي في الحانة حتى اضطرت على حدائتي سني
أن أعمل عند صانع أحذية في المدينة المجاورة ، وكان
هذا الرجل — صانع الأحذية — قاسياً غاشماً فكان
يماقيني أحياناً بالطعن بمدبته التي يقطع بها الجلد
وطوراً بالجلد بسوط من عصب الثور المقتول . ولم
يكن أحد يفكر في إنقاذي من مخالبه أو رفع
شكواي إلى الشرطة لأن رجالها — رجال الشرطة —

حُرْمَةُ الْقَبْرِ

بقلم سيدار جودورف
للأستاذ محمد لطفى جمعه

تعريف بالقصة

اسيدار جودورف كاتب
روسي منى في لندن وهو ضد
البولشفيك ، بل عدو لدود للشيعة
وهو من أكبر خصوم ستاين ولنا
نراه يصور المشاعية (كومونزم)
تصويراً قاعماً ، ويمزج قصصه التي
تنشرها مجلات أرجوسى وسترايد
وبلاسكورد وماي ريفو بالعشق
والاجرام والفلسفة . ومعظم التصاور
التي يلونها بألوان زاهية أو مظلمة
متترعة من الحياة . ولذا آثرنا نقل
هذه القصة التي تنطوى على محاكاة
منهم ذى شخصية نادرة النحال .
يشرح حاله بما لم يأت به أعظم مدره
في الدفاع عن مذنب بريء . ولنا
كانت تهمته تدور حول جريمة انتهاك
حرمة المقابر فقد جعلها المؤلف
عنواناً لقصته

نظر القاضي إلى التهم نظرة
جد وأسى ، وقال له : أيها التهم
هل لديك ما تقوله مضافاً إلى
الدفاع الذي فاه به محاميك فأنت
بلا ريب آخر من يتكلم
فأجال التهم نظره في
الحاضرين ثم شد على نفسه كمن
يترنم أن يقوم بأعباء حمل ثقيل
أو يحط عن كاهله عبئاً وقال :

نعم أيها القاضي ! سأنتكلم !
لقد لفظتني الحياة من صلب فلاح
خشن ، وورح من امرأة من بني
جلدته وأهل طبقتة ، في قرية من
أقصى قرى الريف البولوني ، منذ
خمس وخسين عاماً . وكنت وأبي
وأمي وإخوتي وهم أربعة وأخواتي وهن خمس نعيش
جميعنا في قاعة صغيرة ضيقة لا نافذة لها ، سوى تلك
التي فتحت في جدار مشترك بيننا وبين الأنعام ،
وعلى هذه النافذة أو الجدار الذي كان قاعدة لها توضع
في كل عشية « مسرجة » من التنك^(١) لها شريط

(١) معدن أبيض رقيق يستخرج من شواطئ بحيرات
أمريكا ويعرف هنا باسم الصفيح

خراً . خستت أيها الوجد المخمور . إنني أقتلك قبل أن تفكر في هذا . فضحك والدي - رحمه الله - لأنني لا يحق لي أن أسبه أو أنسى الانتساب إليه ، إذ لم أكن ولده ، فابن من أكون ؟ أفضل أن أكون ابن أكبر سكير في العالم على أن أكون مجهول الأب ، وثمن أعدت شتائم أي في حقه ، فلها أن تشتمه ما شاءت لأنها زوجته . أما أنا فالله يغفر لي ولا يسمح لي باقتراح هذا الجرم .

و كنت عند ذلك في الرابعة عشرة من عمري وقد تعلمت مبادئ القراءة والكتابة عند قسيس القرية الأب جرنجو ارسينكفيز ، فذهبت إليه من الغداة وشكوت له كل شيء ، وقلت له إن والدي يفكر في بيعنا صفقة واحدة كالواشي فتوسط في توظيفي عند يهودي يخرج ماله بالفوائد ويعمل بالربا فلم أطق سماع تهديدات البؤساء والبائسات من عملائه وتركته لأدخل في بنك لبيع الأراضي بالتقسيط وبناء المنازل الصغيرة للمستخدمين ، وقد أقتنت الكتابة والحساب في ذلك المصرف وتعرفت بكثيرين من رجال المال والأعمال ، فنقلنتي إدارة المصرف إلى مدينة ثيلنا بترقية . وبعد عام ونصف عام كنت أثناءها أبحث بمظم راتبني إلى أسرتي ، أفلس البنك فجأة وانقطعت مصادردي ومواردي وعجزت عن دفع أجرة غرفتي وظنت صاحبة الدار بي الظنون ، فأغلقت باب الغرفة من الخارج وجعلتني حبيسا بها ، فلم أذق طعاما ولا شرابا ولم أقض حاجتي . ولما كان سقف الغرفة مصنوعا من الآجر المرصوف رصفا بغير بناء فقد تمكنت من الفرار من أعلى الدار بأن حرقت رأسها . . . أما الأيام والليالي التي قضيتها بدون طعام ، فلا يمكنني أن أحصر

كانوا يصلحون أحذبتهم ويخصفون ناملهم في حانوبه الملمون . غير أنني كنت أقبل المذاب والمقاب راضيا لو أنني تعلمت شيئا من صنعة الاسكاف ، فقد كان اللعين يرضن بها ، ولا ييوح بأسرارها لإلوالديه اللذين طالما لطخا وجهي بمادة « الراساس » ليضحكا مني ويسليا والدهما على حسابي . أما أي المسكينة - طيب الله ثراها - فكانت تلتمس رزقها في الشوارع والطرق ، وتدخر ما تكسب لقوت أولادها وبناتها وللغرض عن أبي حين يسرق بعض النقود ليشتري بها أكوابا من الكحول الذي أحرق كبده وقضى على حياته . كانت المسكينة تطهى الطعام في بيوت التوسطين ، وتغسل الثياب وتمسح الخشب وتنظف الجدران وتبيع الخبز القديم « المرجوع » وتذبح الدجاج والأوز لليهود ولا ترفض عملا تجد فيه كسبا إلا ما كان يمس المرض والشرف . وفي إحدى الليالي جاء والدي نصف نحرور ، فأيقظنا جميعا ، وبدلا من أن يقسم بيننا فطيرا أو كمكأ قال لها بسمع منا جميعا :

جميلة جداً شربة القوقاز ، وعادات جورجيا الصغيرة التي يعيش فيها المسلمون والنصارى على قدم المساواة . إن الأسرة الكبيرة كأسرتنا يمكنها أن تبيع بعض أولادها وبناتها بمبالغ حسنة ، تتخلص من متاعهم وتفتح لهم أبواب الرزق في قصور الأغنياء . ربما كانت إحدى بناتك يا امرأة تكون سلطانة أو أميرة شرقية لو أنك تمكنت من بيعها ؛ وكذلك أحد أولادك . . .

فزارت أمي في وجهه كأنني الأسد ، وقالت له : أصمت أيها الخبيث اللعين ، الطامع السكير ، حتى أولادي تفكر في بيعهم لتشتري لنفسك بثمنهم

أن أحصل على إذن من الحياة ، (١) وأن أبدأ ذلك بتوديع الوقي . فلم أهدر إلى قبور والدي ، طبعاً . هذا مفهوم ، لأن أبي كان مدفوناً في قبر مجهول في جبانة المشنوقين في شرق مدينة دومسكوي . وكانت أي ملحودة في مدافن الفقراء المنبوذين بجوار جبل جراتر الشاهق الذي يقف حداً بين قوتينا وبين مدينة ليتوانيا . فأني لي أن أهدى إلى قبرين لحاملين من الفقراء بين عشرات الألوف من قبور الحاملين ؟

فقصدت إلى المدافن وودعتها جميعاً بخبطة وجيزة وكذلك إلى المستشفيات وإلى أما كن الدعارة والسجن ظناً مني أن واحدة من أخواتي أو واحداً من إخوتي لا يزال حياً يرزق ويتألم في بعض تلك النواحي من جهنم الدنيا وجحيم هذه الحياة . تصور أنني لم أودع أحداً في بيت أو مدرسة أو أسرة أو مخبز أو طاحونة .. أو حتى مقهى أو فندق ولكن ودعت أرواح أهلي وأشباههم في المقابر والمدامر والمستشفيات والسجون .. كان آخر يوم تركت فيه المدينة يوم أحد فقصدت إلى الكنيسة وصليت ، وبعد الصلاة دنوت من كرسي الاعتراف لأعترف ، لأنني ما زلت مسيحياً أرثوذكسياً على المذهب السنّي القويم والخطة الكنسية الاغريقية المثلى . ولكنني بدلاً من الاعتراف فاجأت القسيس المتناوم بهذا السؤال :

— قل يا ابتاه لماذا يكافأ الأشرار في هذه الدنيا بخيراتها على شرهم ويجازى الأخيار في هذه الدنيا بشرورها وسيأتها على خيرهم ؟ قل وأوجز ، فأنني أوشك أن أخرج من هذا الدين إن لم أجد (١) لعله أراد أن يغير خطته فيودع موته قبل ذلك .

عدها . وبعد فترة من الزمن اشتغلت بالتمثيل فنجحت نجاحاً لم يكن في حساباتي ، فقد زادتني طول قامتي وحسن هيئتي وارتفاع جبهتي واعتدال أنفي قبولاً عند الرجال والنساء . وكنت أتقن — ياتهمكم الأقدار — تمثيل أدوار الملوك والأمراء والرعماء والخطباء والمشنوقين . وما زلت أدأب وأنشط وأعمل بثبات وأتقن الوقوع في شرك النساء ، حتى جمعت ثروة لا بأس بها ، فأبدت عذراً إلى مدير الفرقة وعدت إلى وطني ومسقط رأسي لانقاذ والدتي وإخوتي ولأترك لهم ما جمعت من مال ، ولم أكن أدري أن يد الزمان لا تنفك تعمل بالتدمير والتخريب في بيوت الفقراء والمساكين ..

فقد قضى أبي نهبه في السجن إثر مشاجرة في حانة ، وسقط جدار قديم على رأس أمي وهي تنسل في بيت ، وسقط بعض أخواتي في مهاوى المار ، وتشرد إخوتي فلم أعثر منهم إلا على ولد أبله تركته في الرابعة من عمره ووجدته في العاشرة يتسول في الطرق ، فأنقذته وهو في آخر رمق وحملته إلى المستشفى ولكنه مات بين يدي . وقد تزوجت إحدى أخواتي بشراً طي ، ولكنه كان يضربها كل يوم بالجلد الذي يتمنطق به أو بمخائل سيفه إلى أن أورثها الجنون ، فحملها إلى ملجأ المعتوهات

أما البيت الذي كانت تؤويها إحدى غرفه فقد تهدم — حتى ذكرى بوئنا لم تبقى في مكانها . فكانت عودتي أليمة بقدر ما رجوت من هناء وفوز على المقادير ، فأدركت أن النكود منكود وإن توهم السمدا

عندئذ ضاقت الدنيا في وجهي ، فأردت أولاً

جواباً شافياً قبل غروب شمس هذا النهار .
فرجع القسيس اللبق عقيرته وأجاب :

— لا تتمجّل يا ولدي ولا تياس ، لن أطيل
عليك الكلام ولن أعذبك بالثرثرة التي لا طائل
وراءها . إن الذي ذكرته مشاهد ومعروف . وهو
حقيقة لا خيال ، وأمر واقع لا وهم ولا ضلال .
والجواب عليه أنه أمرٌ مجهول السبب ، لا تفسير له
عندنا في الكتب . ولم يهتد أحد من آباء الكنيسة
إلى تعليقه تعليلاً حسناً بحسن السكوت عليه .

فقلت له : شكراً لك ياسيدي ! أستودعك الله
لقد كنت صريحاً معي وهذا يكفيني . وحينئذ
أيقنت أنه لا توجد عدالة في العالم مادام الأخيار في
بلاء والأشرار في هناء والدين عاجز عن تفسير حالهما .
سافرت من المدينة التي قريتي من ضواحيها
إلى مدينة أخرى فأنفقت معظم ما ادخرت في المرح
والشراب والطعام ومنازلة بنات الهوى .

وكنت أحياناً أغشى أما كن الدعارة وأختار
فتاة فاطمها وأسقيها وأحسن إليها بصدقة متوهماً
أنها إحدى أخواتي الصغيرات . وقد نسيت مرة
أن أسأل امرأة عن اسمها فلما قضيت منها حاجتي
(واخجلتاه) سألتها عن اسمها قالت : ايزدورا ، وكان
هذا اسم صغرى شقيقتي فكذت أجن وشرعت
في قتلها . ولكنني قلت لها ما اسم أهلك وأمك وما
هي المدينة التي نشأت بها فأجابتنى بسرعة مذهشة
إنها تشيكوسلافية من مدينة كرا كوف مقاطعة
بيلوم ، وأيدت قولها بأدلة حاسمة . وهي وشم على خصرها
ونخذيها . فأنفقت من الجنون الذي أصابني لحظة
وخرجت من بيت المرأة لألوى على أحد ولا شيء .

وأصابني الكسل في روحي وعقلي فأمسيت خاملاً
يائساً . ولم أجد ما أقتات به في مدينة بريسكايبولونيا
الغربية فلم أستطع التسول لحسن هيئتي وقوة بنيتي
فبعت ثيابي وارتديت ثياب متشرد من أبناء السبيل
وكانت غاية في الرثاثة . ودخلت على صاحب مصنع في
مكتبه ، وشكوت له سوء حالي وفقري وبطالتي
وعطلي ، وأضفت إلى ذلك أن والدي كان يعرف والده
فرق لي وعرض عليّ العمل في مصنعه وهمت أن
أقبل ما عرض ولكنني خفت من نظام الحياة التي
بدأت أثور عليها وخشيت أن أعمل فتتحسن حالي
فأرضى عن الدنيا ومن فيها فأعدل عن سورة الغضب
التي غمرتني . فقلت له إنني قد وفقت إلى عمل سأبدؤه
بعد يومين ، وسألته أن يعرضني قرصاً حسناً لأصلح
من شأني ربنا أختم أسبوع العمل الأول فأقبض
مرتبتي وأرد إليه دينه مشكوراً . فصدقتني ودفع لي
خمسين كورونا وودعني وهمس في أذني أنه سيضع
في غرفة البواب بدلة ثياب كاملة وحذاء وقيمة
أستطيع تسلمها في المساء فشكرته . وعدت إلى باب
المصنع وتعمشت ووضعت ثيابي الممزقة في مكان أمين ،
لحاجتي إليها ، وقصدت إلى أقرب حانة فأقرغت
جيبتي وملأت رأسي واحتلت على المال والطعام والخمر
والنساء ، أي أنني احتلت للحصول عليها جميعاً
ونجحت . لقد بدأت أنتقم من هذا المجتمع المجرم
الذي أصابني منه التمسص ونالني منه البلاد العظيم .
لقد فتك المجتمع بأهلي ، وعصف بأسرتي ، وتسلى
على عقل أبي وقلب أمي كما يلهمو الطفل بصغار القطط
والمصافير فيخنقها وتلفظ أنفاسها وهو بضحك .
لقد كان أبي وأمي وإخوتي يموتون جوعاً وفقراً .

أعضاء المافيا أسلموني إلى جمعية « الطراير السوداء والبراقع المحضبة » وكان مبدأ هؤلاء يدعو للقتل العنيف ، وقد قالوا لي إنهم قتلوا بطريقتهم العنيفة أكثر من مليون إنسان . كنا نعيش معظم الأيام عيشة الفضلاء الأخيار ، ونخادع الناس حتى نستدرجهم ، وكنا نرغم على الزواج ونأسس العائلات فتزوجت انصباعاً لأصرهم ، ولكنني توعدت امرأتى بالدمج إذا هي حملت . ثم لجأت للمزل والانتفاع بالمعاقير والاصباغ ، حتى إذا حل موسم الجفاف ادعت أنها ورفاقي أننا مسافرون في تجارة تسبقها رحلة بحرية وسفرة برية واجتمعنا عشرات من أشد الرجال بأساً وألفنا عصابات تجتمع سرّاً وترسم الخطط الدامية . وكنا ترابط في الطرق حيناً وحيناً في محطات السكك الحديدية وطوراً في الفنادق والمطاعم والمراقص وأندية الليل فاذا وقعت لنا فريسة من الأغنياء سطونا عليها وجردناها وفكنا بها وهتكنا من الأعراس ما هتكنا ونهبنا من المال ما نهبنا ، ثم ذبحنا من استسلمنا أن نذبح من الرجال والنساء والأطفال والجند والتجار والمثلاث والمرضى والأطباء ، وكنا نسرق ونفتصب فرادى وأزواجاً ، ولكن لا تقتل إلا أفواجاً لأنه أنفى للريبة وأبعد عن الشبهات

النائب -- هل يتكرم المتهم بأن يوضح الأسماء والأماكن والتواريخ مساعدة للمدالة وخدمة للفن وإكلاً للحديث الذي يرويه إذا شاء

المتهم -- لا أحب المقاطعة . ولكنني أجب بأن شرقي لم ينزل إلي درك التجسس على زملائي

ومرضاً والمراقص حافلة والمآذب قائمة والملاهي سائرة في طريقها والثاني أهلة بالنواني والفتيان من كل لون ونوع . لقد احتلت واختلست وسرقت ، لا لأجل السرقة ، ولكن لأجل الانتقام . . . على الأقل لمرض الصغيرات التي تخيلت أنهن مولودات للشرف والعفة ولو في ظلال الفقر والفاقة . وعند ذلك وقف وكيل النيابة العامة وقال :

— هل يرى القاضي العادل أن هذا الكلام يعد دفاعاً عن التهم . إنني أطلب إسكانه . أرى أنه يهيج نفسية الجماهير من أعماقها ويوغر صدورها على المجتمع المحترم الموقر . . .

الجمهور — ينمتم ويههم « الحرية ، حرية الدفاع ، لقد أعطاه القاضي حق الكلام فلا يحق لأحد أن يجرمه »

الحامي عن التهم — إن سحب الكلام من التهم بمد السماح له يبطل الاجراءات ويحتم إعادة المحاكمة ، فهل حضرة النائب على استمداد لسامع ثلاثين شاهداً للثبات والنفي ومرافعة تطول ثلاثة أيام ؟ ثم لن يكون مناص من أن يؤذن للمتهم في الكلام من جديد لأنه بنص القانون آخر من يتكلم القاضي — النظام، استمر أيها التهم في دفاعك التهم — (يطلب كوبه ماء فيؤتي بها ويشربها دفعة واحدة)

وفي مدينة رومة اتصلت بجمعية سرية اسمها الكاربوناري أو الماقيالا أذكر الآن . وكانت خطتنا القتل باسم الفضيلة ولكن لا فضيلة هناك ولا شبهها بل القتل لأجل القتل . ولكن بعض التهورين من

هدمنا المجتمع ونحن على حسن النية ؛ فبيننا أنفسنا على سوء النية ثم شرعنا نهدمه . لقد كنا أحياناً نحاربنا فصرنا شراراً لنثار لأنفسنا ، لقد نمرنا حقاً للدماء الباقية

غير أنني في نهاية الأمر ضجرت من قتل الأفراد واقتنمت أن الأولى والأفضل والأسرع والأخلق والأليق والألبق أن يكون القتل عاماً فانفلتت من روما بعد أن أتقنت الخطابة والكتابة بوضع لغات كالروسية والفرنسية والاطالية . وقصدت إلى بطرسبرج في عهد القيصر نيقولا الثاني . وكنت أجد النكلم بكل اللجات . وقد قيل لي إن تعاليم الفوضي لا تتفق مع العقل وإنعاشي مع الجنون، ولا تستمين ببرودة الكهولة وإنما تريد حرارة الشباب؛ وإن أشد مخاوفها الاحجام وأشد معضلاتها التروى . فهي لذلك تحشى العقلاء ولا تطمئن للرزانة ولا تسكن للمجادلة ، يجب أن يكون خدامها عمياً حتى لا يبصروا ومجانين حتى لا يجمهوا ولا يفرقوا ، فهي لذلك لا تقع إلا على نائر كره الانسانية فأراد أن يطلعها في قلبها ورأسها ، أو مفلوك بطاب الفنى بعد الفقر . وكنت من الفريق الأول . فلما عشت روحاً من الزمن في عاصمة روسيا القديمة أخذت خائبة من صفوف الثوار اسمها ناديا وكانت امرأة نصفاً تباع الثلاثين من عمرها ، وكانت كينات جنسها تتقن سبع لغات على الأقل فأخذت تذكر لي أسماء رجال لم أسمع بهم من قبل وكانت كهمي في الخلاعة والنصابي فلهوت بها وأهملت تعاليمها . وكنا نعيش على مائة روبل تدفعها لنا الجمعية للسرية « بلافندسكاي

الأقدمين ، كما انحط شرف بعض الموظفين (ضحك وتهد وشهيق من الجمهور)

وكنا نقتل بالسنق بخيط من حرير أو قطعة رقيقة من القماش المغنول ، وكثيراً ما كنا نضحك ونلهو وزرقص ونحن نزهق أرواحهم ثم نواربهم التراب في قبر مشترك كقبور الجنود بعد المواقع الكبرى ، هكذا قانون جمعيتنا المحترمة بعد تقاليد الحرب المعظمى

القاضي — إنني أقترح على المهتم أن يغير التشبيه إذا شاء ولا أرغمه على شيء فهو حر في طريقته المحامي — وأنا أنضم إلى المحكمة في هذه الرغبة ولدا أرجو شطب الكلام بعد لفظ « مشترك » من محضر الجلسة

المهتم — موافق . كنا لا نعاقب مطلقاً لأننا نبذل كل الجهد في إخفاء معالم الجرائم ، ولم يكن أحد من الشرطة أو المحققين أو رجال البحوث الجنائية يستطيع أن يلقى القبض علينا ، لأننا كنا مواطنين ممتازين بالشهرة الطيبة والفضيلة ، فاذا حدث أن اعتقل أحدنا خطأ أو نتيجة لمهارة أحد رجال القانون ، فان الجمعية تتأزر توتاً في تخليصه يبذل النفس والنفيس من مال وهدايا ، على أننا لم نكن نقتل لأجل القتل ، ولكن كنا نقتل لأننا نقابل المثل بالمثل ونقتص من المجتمع الذي قضى علينا وعلى أهلينا وأحبابنا . فانه لم يكن يقبل بين ظهرانينا إلا موتور أو مظلوم أو ثاكل أو مخدوع من الرجال أو النساء ممن فقدوا ثقتهم في العدل والرحمة والوعد العذبة والأمانى المعسولة . لقد

نبراسكا « مشاهرة . وأخيراً الحقتنى باتباع زينون وكنت أظنه زعيماً روسيا خطيراً فاذا به فيلسوف يونانى . وكانت ترغمنى على أن أستظهر بمض النبذ التى تدعى أن حياة الثائر فى روسيا بدونها مستحيلة من ذلك قولها « ليست القوانين نتاج الحكمة من أجدادنا ، وإنما هى وليدة عواطفهم وجينهم وعصبياتهم واطماعتهم ، وإن العلاج الذى نستمده من القوانين لهو شر من الداء الذى تدعى هذه القوانين شفاء نامته ، فاذا أبطلت هذه القوانين وأقفلت هذه المحاكم وترك الفصل فى النزاعات للمراجيح من الناس ، نشأ عن ذلك المدل الحقيقى » أو كقولها « الامتلاك هو السرقة بعينها » . أو هذه النبذة المعقدة الملتوية « إذا رجحت عقول الناس وتهدبت نفوسهم حتى يستطيعوا أن يتبعوا غرائزهم الطبيعية فلا تعود بهم حاجة إلى المحاكم ولا إلى الشرط والمابذ والأديان ، ولا إلى استعمال السكة والنقود وإنما يستمضون عن الأخيرة بتبادل العوارف والأعطية »

ولكن هذه المذاهب لم تكن تروقنى لأننى لم أفهمها بمقل وإلتصبت إليها بقلبي وروحي معتقداً أنها تعيننى على الانتقام لأهلى . كان زرع أموال هؤلاء الأغنياء جميعاً وإغرائهم فى بحر من الدماء لا يكفينى فداء لأبى وأبى وإخوتى ، ولا سبأ أخواتى البائسات . لقد كانت عاطفة العائلة قوية غاية القوة فى نفسى ، ولهذا أردت أن أتزوج من هذه الثائرة نادياً لتندمج معى أكثر من اندماج الحليمة الايطالية . وفى اليوم الذى سمعت فيه على

عقد زواجها اكتشفت خيانتها ، فقد كانت تخلو إلى طالب يهودى اسمه عمانوئيل كونسكى يقطن فى نفس المنزل الذى كنا نميش فيه . فلما ظهرت على أمرها كتمته وعدلت عن الزواج بها . وذكرت لها بمد بضعة أيام أننى مسافر إلى الجنوب إلى ناحية أوديسا ، نفاذاً لأمر كازميرسكى رئيس الشعبة التاسعة التى أنتهى إليها فقالت لى « على بركة الله أبىها الرفيق ! » كأنها كانت تنتظر فراقى بفارغ الصبر ، وهى تعلم أن السفر بين بطرسبرج وأوديسا لا يتم إلا فى ثلاثة أيام وليلتين ، فقالت لها : ألا تمدنى لى حقيبة ثياب أو طعاماً فى خرج كالأخراج التى يحملها الموجيهك ؟ فقالت لى وهى متمجلة وقد زأغ بصرها « يمكنك أن تدبر أمورك بعشرين كوبيك أبىها العملاق الثقيل » ووضعت فى جيبى قطعة صغيرة من النقود الفضية فقالت لها وأنا أقبلها نفاقاً وودت لو أضرق وجهها بأنيابى : « لا زاد ولا غطاء : أترين اننى أموت برداً وجوعاً فى خدمة الانسانية ؟ » فقالت « إن الشعبة التاسعة تمدك أسباب الراحة ، هيا أسرع فقد حان موعد القطار ! » أيتها الداعر المحرومة من الرجال قبل أن تمر فىنى ؛ لقد التقطتك من الطريق وغذيتك من لحمى ودمى وعرق جيبى وخاطرت بالحياة لأجلك . أهكذا أتبيمينى ببيع السماح لأجل شهوتك الصاخبة . ألسنت رجلاً ؟ أم دأبك التنفير والتبديل كحمار الوحش التى لا تقنع بقطيع كامل المدد والمدد من الذكور المتهاجة ؟ . هذا كلام العقل الباطن تبادلاته ونفسى ، وقد تخيلت كل شيء يحدث فى غيبتى . ثم نطق العقل الواعى قائلاً :

ليموتني . ووضعت أذني على خرق الباب فسمعت أصواتاً وحركات وتأوهات وهمساً، فنظرت فرأيت في ضوء المصباح الكهربائي ما أتعنى بأن المرأة في أحضان اليهودي ولحت لحسن الحظ نافذة مفتوحة فعلمت أن الوصول إليها سهل من السطح فصعدت إليه وصبرت عليهما حتى أخذنا نصيبهما من التمتع والنوم وهبطت عليهما كالتضاء من النافذة وذبحت الماشق اليهودي من الوريد إلى الوريد كما تذبح الشاة، ثم أيقظت ناديا ووضعت فوهة المسدس في فمها. فلما رأت دماء ممشوقها الطالب المبري قالت لي: أنت الذي قتلته؟ قلت نعم. قالت حسناً فعلت. إنني استدرجته لذلك، فأنا أمقته وأحب أن تفعل به ما فعلت من زمن ولكني لم أتمكن من اقناعك .. اخلع الآن ملابسك ونم في حضني حتى الصباح. قلت: وماذا تفعل بجمته؟ قالت: أترك الأمراندييري، ولكنهم لم تنته من حبك تلك الحيلة حتى أفرغت المسدس في حلقها وغادرت الدار كما دخلتها . وقررت إلى ساراتوف على نهر الفولجا واندمست بين الملاحين وعاشرت الموجهيك في المولد الكبير في تيجني نوجورود^(١) وتعلمت أغانيهم وأنشدت مواليهم وقصائدهم وأدوارهم، وأتقنت أصواتهم، وغيرت اسمي وعقيدتي طيماً وجعلت نفسي من قازان . وذقت أنواع الجوع والخوف والفقر، وكانت أشباح الأحباب والأعداء والقنلى تظهر لي في نومي وصحوي. وتعلمت بكتاب «بيت الموتى» لحدانة عهد بالشر ودخات الكنيسة وتعلمت بالنساء أيام الأحد وأنا كافر بجملة القسيس

حسن ما تقولين يا حبيبتي ناديا . أستودعك الله ! وسارعت بالخروج وطرت على جناح السرعة إلى حي آخر من أحياء العاصمة وقضيت ليلتي في أحضان امرأة مذبنة . وقبل أن أضطجع إلى جنبها في الفراش الغريب الذي لم يألفه بدني صليت صلاة قوية وصلت المرأة المذبنة إلى جانبي راكعة على ركبتها . فسألتها : إن وجدت زوجاً كريماً يقوم بأودك ويكفيك مؤونة الدعارة أفتسكينين إليه ؟ فأجهشت بالبكاء وقالت : أسكت أيها الرفيق ولا تذكر هذه النعمة المقدسة في هذا المكان الملعون . إنني كلما أذكر الطهر والمغاف والقناعة أكاد أجن شوقاً إليها .

قلت « فإن وجدته وأحسن إليك وبني بك تخونينه مع أول قادم؟ فوضعت يدها على فمي، فقلت : وإن فعلت فما تستحقين ؟ قالت : أن يقتلني وأن أذهب بلا دية ، وأن يباح دمي . فقهممت حتى أمسكت بجنبي ، وكادت المرأة تظنني مجنوناً . لقد حاكمتها أي الغائبة على طريقة قومها وبلادها ومذهبها بعد أن صدر الحكم على لسان امرأة من قومها ومن طبقتها ، ولم أطق صبراً ، فأفرغت جيبني في حجر البائسة المذبنة ، أعني أعطيتها كل ما كنت أملك ، وقصدت إلى كاتم أسرار الشعبة وزرته في غسق الليل ، وقلت له : إن الرئيس يطلب مسدساً وذخيرة فقال : أي رئيس ؟ قلت : الرئيس ٩ + ١٤

وكان هذا رمز الأختي ، فأعطاني ما أطلب وقصدت إلى بيتي بعد نصف الليل بساعة وصعدت الدرج في الظلام الحالك ، ولم يكن الدفورنيك^(١)

(١) بالروسية المدينة الجديدة مشهورة بالموالد والأسواق .
(٢)

(١) بواب الدار وجانبا وجاسوسها

ولكن لا تنسوا أنني أنا الذي أمرت بدفنها بهذه الجواهر ، وكان يمكنني أن أستحوذ عليها ، لأنه لا قانون في الأرض ولا في السماء يحتم على الورثة أن يزينوا صدور الموتى ونحوهم وأصابهم بالجواهر، ولكنني فعلت ذلك زهداً في جواهرها ، وكنت في أشد الحاجة إليها ...

انقد نسبت الشرطة لي أنني تعدت على جسمها بفعل فاضح ، أفيعقل هذا الزعم ؟ إنها وشاية دينية ونعيمة قدرة ، ونبأ كاذب متمغن لا يصدر إلا عن قلوب متأكلة بدود الحقد والوقيمة . هل أعتدى على هيكل عظمي وجسد لحقه البلى في وحدة الليل البهيم ؟ نعم « الهاوية » قصة خيالية ، ولكن الصندوق الخشبي المنمض المفلق اعتبروه خزانة ملأى بالجواهر ، لا سرير عروس ممدة للزفاف ، إنى أختق . أموت . اسحقوا لي بالجلوس لقد انتهيت .

القاضي — إجلس أيها التهم (يجلس وينثني عنقه من التنب) أيها المحلفون ! لقد سمتم دفاع التهم ، لست في حاجة إلى تلخيصه ، أو ترجيح إحدى الوجهتين . إن وجهة الاتهام قوية لا ريب، ولكن التهم أظهر ضعفها . لا تصفوا إلى القسم الأول من دفاعه . قد يكون اعترافاً خالياً لمقل عصفت به المصائب فأنهكت قواه ، وقد يكون مظهرأ من مظاهر الجنون المفاجيء . انه بلا ريب رجل نالت منه حوادث الدهر نيلاً كبيراً حتى اختل توازن تفكيره .

إن سجل سوابقه مفقود فلا يمكننا أن نعلم إن كانت قصته صحيحة أو كاذبة . أما الجرائم التي نسبها

فجلجل صوتي كأحسن ما يكون منشد يترنم بمزامير داود ، ولكن القسيس فاجأني وأنا أسرق من صندوق النذور فطردوني فخرجت إلى المدينة وأخذت أغني في الشوارع فسمعتني أولجستاً نوماً^(١) المثلة المغنية فمشقت صوتي وأحبت جسمي فوهبتني بدنها واعلمتني فيها واشترتني من نفسي ، فصرت معشوقها وسيدها فأظهرتني على مسرح أوليانوف بيطرسبرج ، وقد رأني رئيس الشرطة في دور حلاق اشيلية « فاشتهبه » في لأنهم كانوا يبحثون عن ذابح ناديا وحبيها ، فصغته أولجستا نوماً ، وقالت له أنت مجنون ، يا برتريف ! هذا أخي في الرضاع ، إنه لم يغادر قصر أبي في تساركوي تسيانو ، فكيف تهمة بالشرود والقتل ؟ فقلت لها: عفواً يا أختاه ! لا تصل بك الحاسة في الدفاع عنى إلى هذه الدرجة ، إننى قاتل هذه المرأة ومعشوقها حقاً . تخدق في الشرطي ، وفتح فيه لينطق فقلت مفهقها : ولكن في المنام !! ...

وبدون عشق أولجا لم تبسم لي الدنيا فوصت إلى مسارح نيويورك وباريس ولندن وميلانو ، ثم عدت إلى روسيا ، وكانت أولجا قد أصيبت بالسل وعجزت عن الغناء ففقدت أنا الآخر صوتي كما حدث لتريلبي عندما مات سفانجيلي نجاة^(٢) ، وعدت إلى الفقر ومقاساة الجوع حتى قبلت أن أمثل لقاء رغيفين من الخبز وقطعة من اللحم وقدم من الفودكا . إن التهمة التي وجهت إلى هي أنني نبشت قبر أولجا ستانوما ، وأخذت بمض حلبيها التي ترينت بها قبل دفنها . إنها لجريمة كبيرة حقاً ،

(١) هذه بريادونا وسوبر أوتونيت أثناء الحرب

(٢) Trilby تأليف دي موريه من أروع القصص الحديثة

الجمهور - ليحي المدل ! الرحمة فوق المدل !
يسقط الظالمون .. المجتمع يحتاج . ليسقط الشرطة ..
اليهود .

القاضي - (يا حارس ! اطلق سراح المتهم)
وأخل قاعة الجلسة من جميع النظارة !

الحارس - ايزيدور فيدوروف، انهض تيقظ!
لقد حكم القاضي ببراءتك (يلحسه بلطف ثم يهزه
بمنف ثم ينظر في وجهه ويحس يده و صدره) إن
المتهم لا يتحرك. لقد فارق الحياة وهذا الزبد في شدقيه
القاضي - (يرفع قبعته وينهض) رفعت
الجلسة وانتهت القضية !!

الجمهور - (يرتل : أيها الرب الرحيم تقبل
روحه في ملكوت سماواتك فقد كان أعذل من
كثير من الكبراء) .

محمد لطفى جمعة

إلى نفسه متطوعاً فقد تكون وقمت ولم تظهر للبلاد
للتحايل في إخفاء معالمها . كما يمكن الافتراض بأنها
لم تقع إلا في دائرة ذهنه المربض فلا تتخذوا منها
سنداً عندما تنسحبون إلى غرفة المداولة . لا تسمعوا
صوتاً سوى صوت ضباطكم . ولا تذكروا إلا تهمة
واحدة وهي التي يحاكم من أجلها هذا المتهم . هل
نبش قبر صديقته أو لجاستانوفنا ليسرق جواهرها
أو ليعتدي على حرمة الموتى؟ إن كانت الجريمة لسرقة
الجواهر فالجواب على الأسئلة جميعها بالنفي ، وإن
كانت غايته انتهاك حرمة المقابر فالجواب على الأسئلة
الأساسية بالاثبات . الله بيمينكم

رئيس المحلفين - لسنا في حاجة إلى المداولة .
جوابنا على جميع الأسئلة بالنفي
القاضي - حكمت المحكمة ببراءة المتهم والافراج
عنه فوراً ، إن لم يكن مجبوساً لسبب آخر

أطلبوا مؤلفات

محمود تيهور

وهي : الحاج شلي . الاطلال
أبو علي عامل أرتست . الشيخ عفا الله
الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء
القصة وتطورها

من جميع مكاتب الفطر الشهيرة

« كتاب فرعون الصغير وقصص أفرى »

يظهر في نهاية العام

رفائيل

شاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

ثروة لم تخط على بالك

للكاتب الإيطالي بوكاتشو
للاستاذ محمد كامل حجاج

للبؤس وتقلبات الأيام . وعزم على الرجوع إلى بلده والاكتفاء بما غنمه لأن ما حاق به من صروف الدهر جعله يحنى العودة إلى أعماله السابقة . فسافر إلى رافلو بهذا المركب الخفيف ، ولما ابتعد عن الشاطئ هبت رياح عنيفة

فهاجت الأمواج ورأى لاندولف أن سفينته الصغيرة لا تستطيع مقاومة اللجج الهائجة فعزم على الاتجاه إلى جزيرة صغيرة . وبعد لحظة أقبلت سفينتان جنوبيتان لتحتميا في هذا الموضع من الجزيرة وكانتا آتيتين من الآستانة . وقد علم الركاب أن هذه السفينة الصغيرة تملكها لاندولف وكانوا يسمون أنه من الأغنياء الولعين بالذهب والسطو على مال الغير فاتفقوا على مهاجمته وسدوا عليه المسالك أولاً ثم أنزلوا عدداً من رجالهم إلى البر وبأيديهم قسيهم وسهامهم وتخبروا لهم مكاناً يمكنهم من إصابة كل من يخرج من السفينة . ثم هب الباقي إلى القوارب وذهبوا إلى سفينة لاندولف وأسروها بدون مقاومة ثم نهبوا جميع ما فيها وأغرقوها واعتقلوا لاندولف في قاع مركب من مراكبهم ولم يتركوا عليه غير بعض ثياب خلسة . وفي الصباح تحسن الجو فسافر الجنويون إلى پوتان وسارت مراكبهم بكل اطمئنان طول النهار . وحينما أقبل الليل هاجت رياح عنيفة ، واضطرب اليم فانفصل المركبان بعضهما عن بعض وارتطم أحدهما الذي يقل لاندولف في صخور جزيرة سيغالوني فتحطم كالأجاجة واقترس اليم مختلف البضائع والصناديق وحطام السفن ، وطفق الملاحون يسبحون وبجالدون اللجج الهائجة في الظلام الحالك ويتمسكون بكل ما يصادفهم لينجوا بأنفسهم وأما لاندولف التمس الذي كان بالأمس يتعني الموت لفقد ثروته فقد تملكه الخوف حينما رأى

لقد أجمت الآراء على أن البلاد الواقعة على شاطئ البحر من ريجيو إلى جابتي هي أجمل البلاد موقماً في إيطاليا . وهناك على مقربة من سالرن عمراء تطلق عليه الأهل اسم شاطئ مافى وبه مدن صغيرة وحدائق وبحار ، وكانت مدينة رافللو في ذلك العهد أبرزها رشاقة وازدهارا ، وكان بها رجل يسمى لاندولف من كبار الأغنياء ولكن نهم المال لا يشبع ولا يقنع ، إذ أراد هذا الرجل أن ينمي ثروته فقضى طمعه على جميع ما ملكت يده

وبعد ما فكر في الأمر طويلاً كهادة التجار اشترى سفينة عظيمة وشحنها بمختلف البضائع وسافر إلى قبرص . وحينما وصل إليها وجد كثيراً من السفن مشحونة بنفس البضائع التي جلبها فاضطر أن يبيع شحنته بأبخس الأثمان؛ فتملكه هم شديد لهذه الخسارة الفادحة التي ذهبت بغناه وصمم على الانتحار أو الاستماتة عما فقده بواسطة شخص آخر فلا يرجع إلى بلده على تلك الحال بمد أن خرج منها غنياً محترماً . وباع سفينته واشترى بثمنها والمبلغ الضئيل الذي باع به بضائمه مركباً خفيفاً يصلح لأعمال القرصنة وسلحه جيداً واختار له بعض الرجال الأشداء وطفق يجوب البحار ويسطو على كل ما يصيبه ولا سيما الأراك حتى زادت ثروته وفاقت ما كان يملكه وقت ازدهار أمواله

رأى أن غناه أصبح كافياً وأنه في حاجة إلى عيش شريف محبوب لا يحتاج إلى تعرض جديد

الحمام ستمته نبيذاً وأطمعته قليلاً من الرمي حتى
انتعش وعاد إليه رشده . رأت هذه السيدة أن ترد
إليه صندوقه وأن تشجمه على ما أصابه من المحن

ولو أن لاندولف لم يفكر قط في الصندوق
إلا أنه ظن أن يجد فيه شيئاً يستعين به على القوت
بضعة أيام . ولما أراد أن يفتحه وجده خفيفاً جداً
فتملكه اليأس والقنوط ، ثم فتحه بفارغ الصبر
تطلعاً لما يحتويه ، وكانت السيدة قد غادرت بيتها لقضاء
حاجاتها ، فوجد فيه كمية من الأحجار الكريمة
بعضها مبرى والآخر كما هو ، ولسابق معرفته
بالجواهر تحقق أنها ذات قيمة كبيرة ، حمد ربه على
هذه النعمة المظيمة ومجده ، لأنه قد حرسه بعين
عنايته وعوضه أضعاف ما فقد . وتشجع ونشط
ونسى همومه ، وعزم على أن يتصرف بكل رزانه
وحكمة ليصل إلى بيته آمناً مطمئناً ولا يكون عرضة
لمصاب جديد أو محنة غير منتظرة . ثم صر جواهره
في قطعة من النسيج وعرض على السيدة أن تأخذ
الصندوق مقابل كيس ، فلبت طلبه ثم شكر لها حسن
صنيعها ووضع كيسه على كتفه وسافر في مركب .

ولما وصل إلى برنديس انتقل إلى تراني وصادف
هناك عدة رجال من بلده وكانوا من تجار القز
والديباج فقص عليهم ما أصابه ، ولكنه لم يبيع
بالصندوق وما حواه فأعطوه حلة وأعاروه جواداً
وبحثوا له عن رفقاء يصحبونه في سفره إلى راثلو

ولما آب إلى بلده عاب جواهره فوجد فيها
كثيراً من الماس الجيد بحيث أنها إذا بيعت بشمن
ممعول كانت قيمتها تساوي ضعف ثروته حينما فارق
بلده . ثم أرسل مبلغاً من المال إلى السيدة التي انتشلته
من اليم في مدينة جولف وكافأ تجار الحرير الذين
ساعدوه في تراني وعاش بقية عمره عيشة هنيئة شريفة

محمد طاهر مجاهد

نفسه مشرفاً على الهلاك ، ولحسن حظه صادف
لوحاً من الخشب فتمسك به إلى أن يبسر الله له
من ينتشله من الخطر

ظلت الأمواج تتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار
إلى أن طلع النهار فنظر إلى ما حوله فرأى صندوقاً
صغيراً عائماً فحاول الوصول إليه ولكن هبت زوبعة
ضاغقت عنف الأمواج وقذفت الصندوق حتى
اصطدم باللوح الذي بين يدي الفريق فأفلت من يده
وغاص لاندولف من قوة الصدمة ، ثم طفا وشاهد
اللوح بعيداً عنه ولكنه لمح الصندوق على مقربة
منه فسيح حتى أمسك به وامتد على غطائه ، وطفق
يستعمل ذراعيه بدلاً من المجاذيف ، وأخذت تطوح
به اللجج في كل صوب دون طعام ، وقضى نهاره
وليده على تلك الحال المضيئة دون أن يعرف إن كان
قريباً أو بعيداً عن البر لأنه ما كان يرى غير الماء والسماء . .
وفي الغد طوحت به الرياح أو على الأصبح إرادة
الله السامية إلى جزيرة جولف ، وأصبح جسمه
كالا إسفننج وهو منكش على الصندوق كما يفعل
الفرقي عند إشرافهم على الهلاك

وكانت في تلك الآونة امرأة فقيرة تغسل آيبتها
على الشاطي فذعرت لرؤيته على تلك الحال وصرخت
صراخاً عنيقاً . وكان لاندولف منهوك القوى حتى
أنه لم يستطع النطق بكلمة . ولما اقترب الصندوق
من الشاطي وتأملت فيه المرأة ميزت شكل الصندوق
ولمحت وجه الفريق فتأثرت بما طفة الشفقة والحنان
ونزلت بقرب الشاطي وكان البحر هادئاً وأمسكت
لاندولف من شعر رأسه وجرتة هو والصندوق إلى
الشاطي ، وزعت يديه المتشنجتين من الصندوق بقوة
ثم وضعت الصندوق على رأس فتاة كانت معها ثم
حملت لاندولف على ظهرها كالطفل وذهبت به إلى
المدينة ثم أدخلته في حمام حار وغسلته ودلكته بالماء
الساخن إلى أن أفاق وبحرك ، وبعد إخراجه من

الحب فوق الجبل

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

جارق بلير . ولكن ماري عرفتها ،
وكتبت على ظهر مجلة كانت معها ذلك
العنوان . ولم يخطر ببالها أنها أخطأت
في ذلك لأنها كانت تريد الاصطيف
أيضاً ، وكانت اسكوتلاندا حلاً من
أروع أحلامها . ولكنها لم تكن
تعرف أحداً هناك ، وليس أجد

بارشادها إليها من هذا الرجل الأسود الشعر والمينين
الذي كانت تراه كل يوم على هذه المنضدة بالفندق
وإن كانت إلى اليوم لم تبادل كلمة واحدة ، على أنهما
كانا يتبادلان النظرات في كثير من الأحيان

وفي تلك اللحظة كتبت ماري خطاباً رقيقاً إلى
مسز « ماك بين » قالت فيه إنها سمعت اسمها وعنوانها
مصادفة وأنها ترجو أن تسمح لها بالاقامة في الكوخ
مدة أسبوعين وتسألها عن شروطها في مقابل ذلك

وفي اليوم الثالث وصل إليها الرد . وكان مرضياً
وفيه تطلب مرسلته تحديد اليوم والساعة لترسل
إليها العربة تنتظرها وأمتعتها عند أقرب محطة لتنقلها
إلى الكوخ الذي يبعد عن المحطة ثلاثة أميال

وتم كل ذلك . وفي ليلة هادئة الجوم مطرة النسيم
كانت ماري واقفة أمام الكوخ وصاحبتة مارجریت

ماك بين ترحب بها ترحاب الصديق بالصدق
قالت مارجریت : « أخشى أن يكون هذا
المكان موحشاً لشدته هدوئه وخلوه من الأتيس ،
ولكنه يوافق اشتراطك في خطابك ، وليس عمل
يمكن أن يعمل هنا إلا الشئ على سطح الجبال المزدهرة
بأعواد الزهر »

فابتسمت ماري وقالت : « إنها تألف هذه المناظر
وتحبها فقد اعتادت الاصطيف في الريف وإنها لا
نتظر أن تسبب لها هدأة الحياة شيئاً من السأم
وكان من حسن حظها أن الجو اعتدل وراق

كانت ماري تستطيع في سر أن تسمع الحديث
بين الشابين الجالسين على مقربة منها إلى منضدة في
فندق بشارع « فليت ستريت » ولكنها لم تمر
أحدهما التفاتاً خاصاً

قال أكبرهما وهو أجملهما الآخر : « إذا كنت
لم تذهب قبل الآن إلى اسكوتلاندا فاطلب أجازة
واذهب إليها . وقد يشكو بعض المتقدمين في السن
وضماف الأبدان من شدة البرد فيها ، ولكن هذا
لا يمنع من وصف جوها بأنه جميل

« وسأدلك على مكان بين الجبال ليس أطيب
من هوائه ولا أروع من مناظره ولا أوفر من حاجياته
مع يسر الثمن ، ولا أجمع لأسباب الراحة والسرور
وقد طال تردادي عليه وآمل أن أذهب إليه أيضاً
في الخريف »

ورأت ماري المستمع يشير بالواقفة ويقول :
« لست أعرف هل أتمكن من الذهاب إليها أم لا ،
ولكني أريد أن أسألك عن بعض التفاصيل ، وأنت
تعرف أنني لا أحب النزول بالفنادق فهل من الممكن
إقامة كوخ هناك خارج القرية ؟ »

فأجابه : « ذلك سهل . وسأدلك على نفس
الكوخ الذي كنت أقيم به ، وهو في جبهة برتشار
الغربية فاكتب إلى مسز « ماك بين » وقل لها إنك
أخذت العنوان من جارق بلير »

ولم يكن المستمع يعرف الجهة التي ذكرها

في الأيام الأولى من زيارتها لهذا المصيف . وفي يوم من الأيام قالت « مارجريت ماك بين » : « إنه في المساء سيأتي مصطفى جديد وسيقيم في غرفة أخرى من ذلك الكوخ »

وقالت : « فاذا راقك مجلسه بعد التعرف به قدمت لك الطعام معاً وإلا فاني سأدبر لذلك وسيلة تريحك »

فلم تبد ماري أي اعتراض بل سرت من وجود زميل من أهل بلديتها في هذا المصيف . وفي أصيل ذلك اليوم خرجت لتتزه على سفح الجبل في طريق المحطة وهي تعد نفسها بأن تكون زهرة الفد برفقة رجل هي إلى اليوم لم تصاحبه . وفيها هي تملل النفس بوعد جميل زلت بها القدم عند محاولتها الصمود إلى مرتفع من سفح الجبل فهوت وجرحت ركبتها واستحال عليها النهوض ، ورأت رجلاً يسلك الطريق بين المحطة وبين الكوخ

ولما دنا عرفت فيه صاحبها أسود الشعر والعينين « جارف بليز » . ونظر إليها وكاد أن يمشى دون أن يتكلم لولا أنها استوقفته وأخبرته بالخبر ، وطلبت إليه أن يباغ صاحبة الكوخ رجاءها لترسل إليها عربة تقبها . فقال : إن الكوخ قريب فاذا شئت فلنذهب إليه مستندة إلى ذارعي . وفي بحمد الله من القوة فوق ما قد تظنين

قبلت ماري على خجل ما طلبه إليها . وكان لا بد لها من التحدث في أثناء الطريق فاعترفت له بأنها عرفت المكان من حديثه مع صاحبه . وقال لها : إنه كان يريد أن يأتي في الخريف ولكن طراً ما دعاه إلى التمتع
وقالت : « أرجو ألا يفضحك انتفاحي بمنوان

كنت أنت تمليه على آخر » فقال : « كيف أغضب؟ لا بل يسرنى كل السرور أن تشهدى صدق النصيحة التي قدمتها لصديقي وأرجو ألا تضطرك الإصابة الحاضرة إلى لزوم الكوخ باقي مدة الاصطيف »

وفي اليوم التالي كانا واقفين أمام الفدير يتحادثان فقالت : « ما أجل هذا المنظر ! »

قال : « إنني لو أوتيت ثروة لحققت حلماً طالما كنت أنمش نفسي بتصوره وهو أن أشتري كوخاً

في مثل هذا المكان فأقضي فيه ستة أشهر من كل عام » . قالت : « أهدا حملك ؟ » فقال : « نعم ولى

حلم مرتبط به » . قالت : « أخبرني ما هو ؟ » فقال : « منذ عام رأيت فتاة فأحببتها وأريدها

زوجة ولكني لا أملك ما أسديه إليها غير حبي » فتشجعت الفتاة أكثر مما كانت وقالت : « ربما

كانت الفتاة لا تطمع في غير الحب » ثم قالت : « هل أرشدتها إلى هذا المكان

الذي أرشدت إليه صديقك ؟ » فابتسم وقال : « إنني لم أكن كلتها على الرغم من أني كنت أراها كل

يوم . وقد انهمزت جلوس صديق منى فرصة لأذكر المكان بصوت عال على مسمع منها . وكنت أعلم أنها تريد الاصطيف »

فاحمر وجه ماري وقالت : « ربما كان عند صاحبك مثل الذي عندك ، وربما سبقتك إلى الكوخ

طعماً في لقائك » وعادا إلى الكوخ . وبعد ذلك اليوم اشتد قلق

« مارجريت ماك بين » بسبب التصاقهما لزاماً ، ولكن قلعهما عاد سروراً حين أعلنتها أنهما يريدان

البقاء بالكوخ شهراً آخر هو شهر المسمل

عبد اللطيف النشار

شهادة الصلح للزواج

للكاتب الفرنسي بول بورجيه
بمعلم الأديب عبد الله الرباشي

نفس الوقت كانت عزائي في مهنتي .
ولا يدهشكم هذان التمييزان المتناقضان
لأنكم ستوافقونني متى انتهيت من
سرد قصتي

كان في المستشفى التنقل الذي
كنت أعمل فيه أثناء الحرب في الريف
امرأتان هما أم وابنتها سادعوها إذا شئتم السيدة لور
والآنسة لوز؛ وكانت كل منهما مثلاً عالياً للتفاني في
العمل والنشاط والاخلاص

إن تملق الطبيب بمساعدته هو إحدى العواطف
التي يخلقها الاشتراك في العمل، وهي عاطفة لا نجد
لها مثيلاً في المهن الأخرى، وتستمر إلى ما بعد انتهاء
العمل ممكاً، ولكننا معشر الأطباء عند ما نؤوب
إلى عياداتنا لا يترك لنا مرضانا الوقت الكافي لتبادل
المكاتبات، فإني عند ما عدت إلى باريس انقطعت
عن مراسلة هاتين المرضيتين النشيطتين. وكانتا
تقطنان بإحدى مدن الجنوب حيث كان زوج
السيدة لور يتعاطى أعمال المصارف. ولكن سكوت
رجال الأعمال لا يتخذ دليلاً على النسيان، إذ أن هذا
ما شعرت به عند ما رأيت ذات يوم السيدة لور تدخل
مكتبي أثناء عيادتي للمرضى فقلت لها :

— آه ! أهذه أنت في عيادتي : أنا الذي مازال
ضميري يؤنبني منذ حضوري إلى هنا لأنني لم أجد
على خطاب واحد من خطاباتك العديدة . يسرنى
أن أنتهز الفرصة لتقديم اعتذارى لولا أنني ألاحظ
أنك جئت في طلب استشارتي ...

— لك كل المذر يا سيدي الطبيب فإن وقتك
أعني من أن تضيمه . ومع ذلك فقد جئت أسألك

قال أحد المدعويين بمناسبة طلاق مشؤوم :
يجب الحصول على شهادة صلاحية للزواج ... فقد
عرفت فتاة كانت زهرة بياض رطبية النضن باهرة الجمال
لونها زوجها بشكل مروع منذ ليلة زفافها إليه .
فقال الطبيب س ... عند ما سمع ذلك :

— لقد كثرت فعلاً حديث الناس عن هذه
الشهادة ، وثار الرأي العام ، وبدأ بعض النواب في
التفكير فيها . وفي مثل هذه الحال التي تتكلم عنها
يميل الانسان إلى الاعتقاد بأن التشريع الذي يقضى
بوجوب الحصول عليها قبل الزواج يكون تشريعاً
مفيداً . أما إذا فكر الانسان في المسألة فإنها لا تبدو
بهذه السهولة . فكيف تثير من المشاكل ! ثم هناك
الصعوبة التي يجدها الطبيب في تسع حالات من عشر
في تشخيصها تشخيصاً علمياً أكيداً . لم يبق إلا
الحال المباشرة التي ضربت لنا مثلاً منها ، ولكن
ما العمل في التسع الأخرى ... ! وإني لأسائل نفسي
كم من زواج موفق قد يصير امتناعه بناء على دلائل
خداعة لأعراض لن تظهر ألبتة . وكم من القلوب
الفتية المتوثبة تتمزق وتسحق بناء على قرار أساسه
نظرية قد يظهر فسادها فيما بعد ! وهذا بخلاف
الأحوال التي يستعمل فيها الفس والتزوير . اسمعوا
هذه الحادثة التي ما زالت ذكرها راسخة في ذهني
فقد كانت من الحوادث التي أتارت حزني وألمى وفي

(*) في الأصل الفرنسي « شهادة ما قبل الزواج »
"Certificat Préuptial"

بالداء الذي تخشين فإن واجبي يعنى من أن أبوح لك به

— أوافقك على ذلك ولكن ألا تبوح به له هو؟

— إننى لأفهم غرضك

— إذا سمعت عليه أن يأتي إليك وأن يربى

هو نفسه بمدائد الشهادة فهل تمد ذلك من جهتك إخلالاً بسر المهنة؟

— طبعاً لا . لأن من حق المريض أن يعرف

حقيقة حاله، وللطبيب أن يرى إذا كانت هذه الحقيقة

تفيد أو تضر بصحة هذا المليل الذى له أن يستعمل

هذا التصريح الاستعمال الذى يلائمه

— وهل ترى ضرراً في إظهار الحقيقة للمصدر؟

— على العكس فهي مفيدة له إذا كان المرض

في مبدئه . وبما أنك تشكين في حالة هذا الشاب

فيفهم من ذلك أن إصابته ما زالت طفيفة . ولكن

فكرى ملياً في الأمر إذا طلبت منه أن يستشيرنى

فن المحتمل جداً أن يرفض محافظة على كرامته . ثم

إذا كانت الآنسة لويز تحبه ...

فقاطمتنى بحدة قائلة :

— إذا رفض لهذا السبب فهذا دليل على أنه

لا يحبها ، وإذا كان لتلك فيكون طبيبه قد حذره

فنصبح نحن على بينة من أمره .

ثم وقفت منعا لا بداء أى اعتراض جديد وقالت

سنعود إلى بيتنا مساء اليوم . زوجى وأنا . لأننا لم

نحضر إلى باريس إلا لهذا السبب ، وغدا سأكلم

لوسيان وسأنتبئك بريقة، وإذا قبل فسيكون عندك

بعد الغد ... ولكنه سيقبل ...

ودعتُ السيدة لور وعدت إلى مكنتى وأنا

أسائل نفسى : « هل يقبل؟ » ومع ذلك فإن موقمة

منحى بعض هذا الوقت ليس لنفسى لأننى لست مريضة ولكن لابنتى

— هل الآنسة لويز مريضة فى باريس ؟

— لا ياسيدى الطبيب ولكنها ستزوج أو على

الأقل طلبها شاب يعجبها جداً للزواج وهو شاب

نبيه وظريف للغاية عين مندرسة فى مدينتنا مهندساً

للطرق والجسور . وقد طلبت وزوجى مهلة سنة

لتبليغه ردنا إذ تريد وضع بعض الشروط قبل

موافقتنا، لأن هذا الشاب خاض غمار الحرب بكل

شجاعة وأصابته الغازات السامة تحت أسوار

فردان . ولما كنت عرفت أثناء اشتغالى بالتمريض

ومنى شخصياً أن أكبر أضرار هذه الغازات هو

تمريض نجاياها لمطب الرئات، ولما كان والدنا لوسيان

— وهو اسم الشاب — قد توفيا بذات الصدر

فلا نقدر بل يجب ألا تزوج لويز بشاب مصدور؛

وحيثند ...

فقاطمتها قائلاً : وحيثند خطرلكم أن تفحصوا

عن مرض هذا الشاب بواسطة طبيب

— نعم ياسيدى الطبيب . لقد عرفت فكرى

— وقد وقع اختياركم على

— هذا طبيى فقد طالما رأينا منكم العناية

بأمرنا والميل إلينا ، ثم شاهدنا دقة استدلالك على

مواضع الداء

— لقد عذب عن ذهنك ياسيدتى مسؤولية

الطبيب وواجبه الصارم نحو سر المهنة . من منالم

ير بانساً كان يمالج فيه قروحاً مخجلة ومعدية تزوج

فتاة طاهرة جميلة ومنمه واجبه من الكلام، بينما كان

من السهل منع حدوث هذه الجريمة بكلمة واحدة.

فإذا فحمت عن داء السيد لوسيان ووجدته مصاباً

ستدركون بمد أن رأيتم انشغال فكري بها إلى هذا الحد مقدار حيرتي واضطرابي عندما تسلمت في اليوم التالي برقية من أحباها كم نصها :
« لوسيان قد قبل . سيكون عندك غداً .
شكراً جزيلاً »

وقبل انقضاء أربع وعشرين ساعة دخل إلى مكتبي خاطب لويز . ستمعلون مبلغ دهشني بمد الذي حدثكم عن ميلي وإعجابي بهذه البنية الظريفة الرقيقة الاحساس عندما وقع نظري على الذي تحبه للدرجة التذلل كما أخبرتني والدتها إذ لم الملح فيه أي صفة أو سياء تبرر أو تفسر مثل هذه العاطفة الجاحمة . فوجهه المستدير الضخم الذي يبسم لكل شيء يدل على أنه ولد طيب ، ولكن عادي بشكل ظاهر . وقد لاحظت أنه متهيب ويخفي ما به من الاضطراب تحت ستار من المرح الذي كان طبيعياً فيه ولاشك . كنت أقرأ اضطرابه مسطراً وراء جفنيه ، ثم تبادر إلى ذهني أن شجاعته التي يدل عليها الشريط المثبت في عروته هي التي سحرت خطيبته المقبلة . وبمجرد النظر إليه يترجح أنه لا يخشى عليه من التدرن الرئوي . ثم إن الفحص الذي شرعت فيه ، وأنا أقل ما أكون رغبة في العثور على دليل يثير ريبتي أثبت لي أن نظرتي الأولى كانت صادقة فوقت بامضائي على شهادة الصحة النامة التي حتم والد لويز عليه إحضارها . وقلت أخطب نفسي بينما كنت أرافقه مودعاً وأنا أوشك أن أغضب من كثرة ما أبدى لي من الشكر : « وهذه أيضاً إحدى نتائج الحرب المخرقة . الاندفاع الوهمي الذي يساور الناس في الشبان الذين خاضوا غمارها ، ثم إذا عادوا إلى الحياة العامة كانوا أناساً أقل من

فردان كانت في الوقت الذي كانت تستعمل فيه غازات البثور فلم تتمعد الاصابات الرئوية ٨٪ . أما في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ في عهد غاز الكالور فقد بلغت ٢١٪ . إذن فالأمل كبير في ألا يكون ثمة ما يخشاه هذا الشاب من النتائج الوخيمة . إلا إذا كان للوراثة تأثير . . . ولكن عزة نفسه تأتي عليه أن يقبل ولو كان سليماً . . . بل خعه وصا إذا كان سليماً لأنه يعرف ولاشك ما يخشون عليه منه في المستقبل ، وإرغامه على استشارة طبيب لا يعرفه اتهام له بأنه لم يستشر طبيبه الخاص قبل أن يتقدم بطلب الزواج ، وهذا بمد غشا صريحاً من جهته . لا إياه ان يقبل ولن أحمّل مسؤولية ادخال الحزن على قلب لويز الظريفة . إن نظرات هذه الطفلة وطول تفرسها لدليلان على عمق مشاعرها ورقة عاطفتها .
وبما أنها تحب لوسيان هذا . . .

وتمتت الشاب الصغيرة في مخيلتي وأنا أردد هذه الأفكار في خاطري كأنها ما زالت أمامي في بهو المستشفى حيث كنت أعجب بها كثيراً وأنا أشاهد نشاطها ورزانتها وهي تنحني على سرير أحد مرضاي لتضميد جراحه . إن حركات وسكنات المرضية أثناء تأدية هذه الأعمال التي تمجها النفس أحياناً ولكن تتطلب دائماً الكثير من الدقة والعناية تكون دلائل واضحة للطبيب الذي يرتبط تفكيره بهذه الأيدي النسائية التي تتكشف له منها طبيعتها الحقيقية كاملة سترون أنني لم أخطئ عند ما عدت هذه البنية في عداد بعض النفوس النادرة التي تستولى عليها العاطفة وتأسرها وإذا ما وهبت نفسها وهبتها إلى الأبد وبدون رجعي^(١)

(١) الرجعي والرجعة والرجوع والمرجم من رجح يرجع

واجبى فى المستشفى فى يوم الاثنين بعد تمضية الليل مسافراً فى القطار فقد اعتدت بحكم المهنة النوم فى أى ظرف وجدت فيه . وكنت أشعر برغبة شديدة بحفزنى إلى رؤية مقر أعمالى أثناء الحرب . ولما كنت دائماً ميالاً كما يقول ستاند هول إلى « معرفة كنهه الشئ على حقيقته » فقد كنت تواقاً إلى معرفة مسألة لوزير بخطيبها الذى لم أكن أراه جديراً بها ، واشتدت بى الرغبة حتى أننى بدل أن أنام فى الفصر حيث أراد أصحابه أن يحجزونى طابت أن يقودونى بالسيارة بعد الاستشارة مباشرة إلى مدينة ممرضتى الظريفة النشيطة التى كانت تمد نفسها للارتباط إلى الأبد بهذا الرجل الحشن الذى أثار كراهيتى إلى هذه الدرجة فوصلت فى الساعة السادسة ومن المنزل اتصلت تليفونياً بالسيدة لور فى الحال ولحسن الحظ وجدتها فقالت لى :

— كيف لم تذبئنى بمحضورك ياسيدى الطبيب؟ إن عمالك هذا سى بل سى جيداً ولكننى أسامحك إذا أتيت فى الساعة الثامنة لتناول المشاء مع الخطيبين وبعض الأصدقاء ؛ ولا بأس من حضورك بملابس السفر طبعاً ، غير أننى أرجوك أن تبكر قليلاً عن الموعد لأن ابنتى تشمر بالمحطاط وأظن أن كثرة العمل قد أسهكتها ولذا أرغب فى أن أعرف رأبك . فقلت لى نفسى : « أبدأت الغمامة تنقشع عن بصرها؟ ومع ذلك فما زال أمامها متسع من الوقت » ونار فضولى وتلبيت غريزة التطلع فى عندما أدخلنى الخادم فى غرفة الاستقبال التى كنت أعرفها من قبل كل المعرفة إذ كثر ما جئت وقتذاك لزيارة ممرضتى الفضلتين كلما سمح لى الوقت بين عيادة وأخرى . وقوة الملاحظة التى يمتاز بها الطبيب

الماديين ، وكثيراً من الأحيان متوحشين تظن الفتاة الخيالية أنها ستزوج فارساً كريماً وإذا بفارسها هذا على خشن كما يظهر لى هذا الشاب . ما أعظم الصدمة عندما تنكشف الحقيقة للوزير الصغيرة إلا إذا كنت قد أخطأت فى حقيقة نفسها وكانت فى الحياة العامة غيرها فى المستشفى كما يدل عليه هذا الاختيار أكبر دلالة

ولكن لا افان نظرتى كرائس عيادة لم تمدعنى وقد ألفت إحدى الصدف التى تحدث يومياً للطبيب بالدليل القاطع . وهذه المناسبة ما هى الصدفة؟ هى وقوع ظروف وحوادث لم يكن فى الامكان التنبؤ بمحدثها . وبالفعل أى طبيب يمكنه أن يتنبأ بأن المريض الفلانى الذى لم يكن له به سابق معرفة سيستدعيه، وأن دعوته هذه ستكون سبباً فى وقوع حوادث غير منتظرة ، إذ لم تمض فترة كبيرة على عيادتى لضحية غازات فردان حتى كنت قد استلمت برقية من السيدة لور تخبرنى فيها بمزيد السرور بخطبة الشابين . ثم تلا البرقية كتاب بطفح غبطة وحبوراً تبدي لى فيه أسفها لأن الزواج الذى سيتم قريباً جداً بناء على إلحاح ابنتها كما قالت لم يحدث له يوم بلائعى ، وإلا كانت رجعتى فى أن أكون أحد الشهود، وإنما تعلم أن كثرة أشغالي لاتتحمل بضعة أيام أنغيها عن مرضاى وعن مستشفاى . وكانت تسكن على بعد عشر ساعات بالنسكة الحديدية من باريس . وهاكم المصادفة التى كنت أكلكم عنها دعانى بعد بضعة أيام زميلان لى من تلك الجهة للتشاور فى قصر قريب من مدينتها، فحدثت أقرب يوم سبت للمشاورة المطروبة برغبة منى فى زيارة ممرضتى السابقتين فى يوم الأحد لأستطيع العودة إلى أداء

شديدة جداً عندي؛ ففي بضع الدقائق التي مكثت فيها وحدي لاحظت وجود مسند تصوير عليه صورة بالفحم لم أكن أعرفها. والصورة جانبية لغتي تبدو عليه بشكل غريب سيئه التباهة وعزرة النفس؛ وكنت أعرف أن للوزير بعض الالام بأصول الرسم، وقد دلتني توقيعها تحت الصورة على أنها من صنعها فووقت مشدوهاً من إتقانها ودقتها مع أن البرهان كان أمامى. ثم قطع على تأمل صوت السيدة لور إذ دخلت وكانت ابنتها بالطبع معها وقالت لى هذه الكلمات التي لم أفقه معناها والذي فهمته بمد قليل وربما كان الاستفهام عنها ذا عواقب وخيمة « ألا تشبه تماماً؟ مع أنها لم تصنعها إلا في ثلاث جلسات؟ ... ولكن ما بك يا ابنتى! ... »

وكانت لوز قد وقعت فجأة على أحد المقاعد وهي متهالكة وقد غاض الدم من وجهها وكأنها فقدت وعيها بينما كانت أمها تواصل حديثها دون أن تترك لى الوقت لكي أجيبها على سؤالها عن التشابه إذ كان يفهم منه أنني أعرف النموذج الذي نقلت عنه هذه الصورة

— لقد شاهدت بنفسك مقدار ضعف أعصابها والدوار يعترها باستمرار! ... أرجوك أن تفحص عن دأها كما طلبت منك. ألا تتفضل بالذهاب إلى مخدعها؟ أتستطيعين المشى يا ابنتى؟ فأجبتها وأنا أساعد ابنتها على الوقوف. طبعاً يا سيدتى، استندى على يا آنسة، وأنت يا سيدتى هدئي روعك فلا خوف عليها

وقد دلتني تقبض يد لوز على معصمى وارتعاش ذراعها على ما بها من اضطراب أخذ يهدأ شيئاً فشيئاً مذ خرجنا من القاعة. ثم دخلنا مخدعها فاقنمتها بالرقاد

على السرير. ولما ملت عليها لكي أثبت رأسها على الوسادة قالت لى هامسة: « أخرج أمى. أخرجها بأى شكل » وبدا عليها الانزعاج والرعب حتى أنني أطعتها طبقاً المبدأ القديم الذي يقرر عدم التصادم مع المصيبين. فالتفت إلى والدتها قائلاً: « أكرر لك يا سيدتى أن لا خوف عليها. سترتاح الآنسة قليلاً بينما أوجه إليها بمض الأسئلة وأظن أنني أستطيع أن أؤكد لك أنني سأعود إليك بها بعد نصف ساعة وهي على أحسن حال مستعدة لتناول الطعام كأن لم يكن هذا الحادث الذي أثارته حرارة الجو ولا شك — فقد كنا في شهر يونيو — فقالت السيدة لور:

— أما ذاهبة إذن لأصدر بعض الأوامر ...

ومع ذلك فها هو ذا الدم قد أخذ يتصاعد إلى وجنتها. ثم قبلتها وقالت وهي تدلها: أجيبي بدقة على أسئلة الطبيب أيها البنت الخبيثة ... ثم فكروى فيما يصيب لوسيان المسكين لورآك في الحال التي كنت عليها! وأنت يا سيدى الطبيب أرجو المعتبرة من مثل هذه المقاتلة؛ وإذا احتجت إلى فدق الجرس فأعود سريعاً وما كادت تغفل الباب حتى قامت لوز وقالت

لى: « لا داعى لتوجيه الأسئلة إلى يا سيدى الطبيب فليس بى من مرض وإنما صمقت عند ما رأيتك تنظر إلى تلك الصورة التي وضعتها أمى هناك خصيصاً لك لكي تهيننى. إنها صورة خطيبي الحقيقي لا الذى جاءك في باريس ... » وعند ما رأت عجبى قالت: « آه. لا يمكنك أن تفهم ... إننى أنا الذى أردت

أن يطلب لوسيان من أحد أصدقائه — وهو زميل أنقذ لوسيان حياته في فردان فأصبح يخلص له إخلاصاً أخوياً — أن يلعب هذا الدور فيذهب

كانت قد انتهت من البكاء فوجدتني يبصرها وقالت لي بعزم أشمرني بأنها ان تنثنى عما قررت

— ليس الوقت وقت مناقشة وقد أوشكت أي أن تعود نخبرها في الحال إذا كنت اتتويت إخبارها فتكون قد رحمتني لأن هذا الشك يقتلني ، ولكن نيقن من أنني عندما أخرج من هذه الغرفة سأذهب لأتحر ولك الخيار الآن فيما تقرر ...

وجالست إلى منضدة الزينة وأخذت تصفف شعرها بهدوء أمام المرأة كأن الحديث الذي تبادلناه كان حديثاً عادياً . وكنت أرى وجهها الجميل وقد هدأ الآن كما يحدث في الأزمت الداخلية إذ تتركز الثورة في قرار ينقذ النفس منها فترتاح إليه مهما يكن الشر المنظور عليه . ماذا يجب عليّ إذاً أن أصنع ؟ وما هو واجبي ؟ وهل تهديدها بالانتحار صادق ؟ ولكن وجه الفتاة الثابت أزال كل أثر للشك من مخيلتي ، فإذا تكلمت انتحرت ، ولكن لو سكت عن واجبي لكنت شريكاً في هذا الخداع ولكي يقبل خطيب هذه الفتاة التمسمة الموافقة على إحلال آخر محله في مسألة الشهادة يجب أن يكون إما ضعيف الإرادة إذا كانت الفكرة فكرتها أو سافلاً إذا كان هو الذي فكر في هذا الخداع المقوت . وئمة إغواؤها وحلما منه ! هل يجب أن أشترك في هذه المخازي بكذبني على أمها التي ستكون هنا بعد بضع دقائق . هذه الأم ذات النفس المالية والاخلاص وكرم الأخلاق ! هذه الخلال التي كثيراً ما برهنت عليها في المستشفى ؟ هاهي ذي تقرب فعلاً . إذ تنهت حواسي كما يحدث للانسان في الأحوال المصيبة الشديدة ، فسمعت وقع خطواتها

إليك بدله متسمياً باسمه للحصول على الشهادة التي ما كنت تقبل أن تعطيا له هو الذي يعرف نفسه ممرضاً لدات الصدر فيمتنع زواجنا وكان لا بد لي أن أتوجه « . ثم عادت فقالت وهي تشد على معصمي بقسوة وحشية هذه المرة : « لا بد لي » . ثم بصوت متحشرح : « إنني حليلته وأنا حامل » ثم وضعت كفيها على وجهها وأخذت تلتحب وتلتشج وهي تواصل اعترافها المحزن :

— عرفت من أي في الساعة السادسة أنك جئت إلى هنا وأنت ستأتي هذا المساء لتناول العشاء . لم يكن نعمة مناص من وقوع المأساة وانكشاف الحقيقة فطرد لوسيان من بيتنا عندما تقول : « ولكن ليس هذا الذي جاني في باريس ... » فإذا كان يحدث لي أنا المدلثة بوجهه . . . خرجت ممتدرة بمذرم ما وجريت إلى الفندق الذي نزلت فيه والذي عرفت عنوانه من أي ... ولكنك لم تكن هناك فعدت إلي هنا ولكن بعد أن كانت قد وضعت الصورة في الغرفة . ولحسن الحظ أنها كانت طلبت منك أن تبر قليلاً عن الموعد لأن صحتي أهمتها . وكانت كثرة الاضطرابات النفسية قد أتمبنتني فوطنت النفس على أن أصارحك وأن تعرف كل شيء . إذ ماذا كان يحدث لو أجبت على سؤال والدتي : « تشبهه ؟ ولكنني لا أعرف الأصل ... » أكرر لك القول هناك كانت المساة بل الكارثة . ولكنني لحسن الحظ شعرت بالألم قبل أن تتكلم ... والآن هل ستكلم ؟ .. فقلت لها وقد تملكني الفزع من هول ما سمعت « ولكن واجبي يا آنسة ! .. إنك تطلين مني شهادة زور وشهادة زور تتماق بمهنتي » .

والد لويز وخطيبها الذي عرفته من مشابهته للرسم . فلم يظهر على الأندھاش عند ما تقدم لمصاحتي وهو مضطرب مما يدل على الخجل الذي كان يساوره والذي كان يجب أن أقدره له، ولكنني لم أرى في موقفه إلا دليلاً على الرياء والخداع . إن هذا العشاء الذي جمع الأسرة وبعض الأصدقاء كان طويلاً ومؤلاً بالنسبة لي، فإن صرح لويز الذي كنت أظنه مصطنعاً كان يثير اشترازي كلما قهقهت ضاحكاً، وكان السرور البادي على باقي الأضياف يؤلني أشد الألم، وكان شموري أمام هؤلاء الناس السليبي النية بأنني حامى الرياء يضاعف وخز ضميري . ولم أتخلص مما انتابني إلا بعد انتهاء العشاء إذ بادرت بالهرب مدعياً التعب بسبب السفر وواعداً بالعودة في اليوم التالي للفقور بينما صممت على مغادرة المدينة في نفس الليلة بقطار الساعة الحادية عشرة على أن أتخلص من وعدى تليفونيا عند وصولي إلى الفندق بدعوى ورود برقية تدعوني إلى العودة سريعاً إلى باريس . وهذه كذبة أخرى ولكنكم تدركون طبعاً أنني اغتفرتنا لنفسي . أما الكذبة الأولى فكم كانت تؤلني وأنا عائد مضطرب الخاطر مثقل بالهموم

قلت لكم عندما بدأت هذه القصة إنها أثارتم ألى وحزني إلى أقصى حد ، وإنها كانت في نفس الوقت عزائي في مهنتي . وهاكم تفسير هذا التناقض فقد عدت إلى باريس بعد تلك الليلة المشؤومة مثقلاً بالهم الذي اشتدت وطأته عندما وصلتني الدعوة الرسمية إلى هذا الزواج الذي لعبت فيه بواسطة سكوتي دوراً يتنافى مع نزاهتي وصراحتي . فسكم ندمت وقتئذ على سكوتي بل بانتم درجة الندم أنني برغم أبسط قواعد الأدب لم أرسل رداً ولو برقية على هذه الدعوة . تصوروا مقدار تأثيري بعد يومين

في الغرفة المجاورة كما سمته لويز أيضاً . فالتفتت وأجهت نحو الباب ونظرت إلى مرة أخرى وهي ملازمة الصمت ، فتبين لي أنها ستقف هناك مستعدة للخروج إذا دلتها كلماتي الأولى على أنني لا أوافقها . فهل كانت تخبي سلاحاً أو قارورة سم أم كانت تفكر في إلقاء نفسها من نافذة غرفة مجاورة ؟ لم يبق ثمة مجال للتردد بعد أن تيقنت أن وقوع المصيبة — التي لا يمكن تلافيها لو وقعت — متعلق بي . قالت الكلام ممناه قتل هذه الطفلة المسكينة التي باحت إلى بسرها المشؤوم ووضعت مصيرها بين يدي . ونجأة اتخذت قراراً كما يحدث كثيراً لأحد الجراحين أثناء إحدى العمليات الصعبة إذ تطرأ له فكرة فيتخذ قراراً حاسماً ، قلت لنفسي : « ماذا تخشى الأم أن يمتاز ابنها مصدور فتحمل منه ؟ إنها لم تستطع منع هذه النكبة فما الفائدة من إخبارها إلا وقوعها في نكبة أعظم ، إذن فواجبي كطبيب يعرف ما عرفته وما يمكن حصوله بل ما لا بد حاصل — هو السكوت

وبينما والدتها تدخل الخدع فاجأها قبل أن توجه إلى أي سؤال بقولي : « اطمئني ياسيدي . ليس بالآنسة شيء سوى بعض الإعياء وهو طبيعي في الأحوال الراهنة . فهناك التعب في إعداد ممدات الزواج . وليس لدى ما أصفه لها بل أنصحها فقط ألا ترهق نفسها »

لم أكن مزهواً طبعاً وأنا أنطق كلماتي هذه التي جعلتني أس هذا التواطؤ الذي اشتأزت منه نفسي في مبدأ الأمر . وبدل أن تلتطف نظرات الفتاة التي كانت تعبر عن الشكر من حذني أهاجتني كأنها كانت سببة موجهة إلي . وبعد دخول والدتها وسكوتي عدنا إلى غرفة الاستقبال الصغيرة حيث كان يجلس

وأن تراه كما هو على حقيقة، فكم أنه ضميره وعذبه لأنه أرسل صديقه إليك بديلاً منه . أكرر لك القول بأنني أنا التي أردت ذلك، وإني كنت أحبه فوق الطاقة كثيراً ما فكرت في أنه ينبغي من كل فرد منا إشباع ينتقل منه إلى الآخرين بواسطة الإشارة أو النظر أو المحيا وأن هذا الإشباع يوجد بين الأشخاص إما تنافراً قوياً وإما توافقاً لا يقاوم . وإلا فكيف تفسر الانقلاب الذي أحدثه هذا السمي الجديد الذي كان لي من الأسباب ما يجعلني أعتقد أنه ينطوي على مكيدة جديدة مستترة بعد أن عرفت عن لوز أنها أهل الحبك مكرها ، ولا أظن أن أي كلمة مهما قست لا تصح أن تكون نمطاً للطريقة التي استعملتها هي وحببيها للحصول على شهادة الصلاحية للزواج الزورة . ألم تتم هي بذاتها نفسها بأنما مثلت أمي دور الحبلى ودور المنتحرة اللذين أختاني في هذا النفس الذي مازال ضميري ويحزني بسببه كل يوم ، ولكنني عندما كنت أشاهدها وأستمع إلى كلامها وأرى تأثرها وحماستها تتمحى كل تلك الأسباب فجأة وتمود لوز في نظري تلك الممرضة الصغيرة التي كانت في المستشفى والتي كنت أقدر فيها إخلاصها على صغر سنها . ولعل شيئاً من المطف الذي امتزج بتقديرى لها هو الذي جعل إفضاءها لي بنظرتها الأولى أشد وقماً وأكثر إيلاماً كما جعلني أشعر بالغناء لدفاعها عن براءتها . وعلى كل حال فقد رأيتني أجيبها :

— ليس نمة ما يدعو إلى طلب الصفيح يا سيدي ..

فقاطعتني قائلة :

— كنت في المستشفى تدعوني لوز

فقلت لها إنني أقدرك الآن يا لوز كما كنت أقدرك هناك . لقد جزت دقيقة عصبية جداً عندما سألتني أمك عن الصورة ولكن يجب

من الحفلة التي كنت أعلم ما انطوت عليه من الفس عندما رأيت لوز نفسها تدخل مكتب العبادة وتجلس على نفس المقعد الذي جلست عليه أمها منذ ستة أسابيع . نعم رأيت لوز نفسها مشرقة الوجه تهتز طرباً فقالت لي عندما رأيت سميتي ووجوي — فهل كنت أستطيع أن أرى في هذه الزيارة الإمتهى الفحة؟ — نعم ! هذى أنا يا سيدي الطبيب . أنا التي كنت أرغب في طلب غفرانك . لقد أدركت تماماً مقدار ألمك أثناء ذلك المشاء فأقدمت أمام نفسي لآتينك لأشرح لك الأمر في باريس . وهذا ما دعاني للحضور . ثم إنني لا أحتمل أن تظن في زوجي أنه لم يرع الشرف وجعل مني خليلته قبل الزواج . إن هذا عين الخطأ لأنه ما أنفك يحترم تلك التي ستحمل اسمه . أما هناك فقد كذبت عليك ، وإنني أتوسل إليك أن تسامحني من أجل هذه الكذبة لأنه كان يجب علي أن أمنمك بكل طريقة من إخبار والدي بإرسال بديل من لوسيان بعد أن عانيت ما عانيت في إقناعه ، لأنني أنا التي فكرت في هذه الطريقة للحصول على الشهادة التي فرضها عليه . فلما جئت إلى هناك ، وجملت تنظر إلى الصورة ودخلت أنا ووالدتي جننت فزعاً فوصمت نفسي أمامك بالعار ونطقت بكلمة الانتحار لأرغمك على السكوت . هل كنت أنتحرت لوتكلمت ؟ لا أظن إلا أنني أحب لوسيان إلى أقصى حد ، بل كنت أهرب من البيت وأرتمى بين ذراعيه طالبة منه أن يأخذني ضاربة صفحاً عن الزواج الدني . ولكنني متدينة ففعلت أخيراً ما فعلت . لك أن تدينني كما تشاء ، ولكن لوسيان يجب أن يسترد اعتباره لديك لأنني عندما رويت له ذلك الفصل الروع أراد أن يكتب لك ، ولكنني رجوت في أن يدع لي أنا الاعتراف لك بالحقيقة . إنني أشعر بالحاجة إلى أن تحترمه

في القوة والصحة ، وقد ولدوا ولهم بمد الزواج بمشورة أشهر وهذا دليل آخر على أنها اتهمت نفسها . نرون من هذه القصة أن فائدة شهادة الصلاحية للزواج ليست أكيدة كما يبدو لأول وهلة ، ولو أنها كانت مفروضة فلاملا وجدت هذه الأسرة السعيدة . هذا ولكم أن تستخلصوا من هذه المأساة التي اشتركت فيها النتيجة التي تحلو لكم ، أما أنا فقد خرجت منها بهذه الحقيقة المؤثرة برغم بساطتها ، وهي أن المرأة التي يحب حبا حقيقيا لا تنفيها عن عزمها صعبة ما ؛ فأظهر النساء تقدم على إتيان أحط الأمور أو أنبلها لتحقيق غرضها ، وإنه لمن عجائب الطبيعة وجود قلب كقلب لويز الذي يصنع المعجائب وأمامكم هذا الزواج وهذا الشفاء أكبر دليلين على ذلك .

عبد الله الرباشي

أن تطلي الصفح منها . فقالت :
— لا وجه لذلك إذا أنقذت زوجي لأنها كانت تريد ألا أتزوج مريضا وكنت أما موقنة من أنني سأخلصه . نعم إنه مريض ولكن بقدر يسير وما دعاني إلى الالتجاء إلى الطبيب الذي طالما رأيته يصنع المعجائب عند ما كنت ملحقة بخدمته إلا لكي يعنى زوجي العزيز ويشفيه لي
لقد قبلت وبمساعدها القيمة أمكنني أن أرى هذا العليل الذي ما كنت أوافق على زواجه البتة لو كان هو أتي بنفسه لأخص عن دأه كما طليت منه والدة لويز المدلحة . حقا لم يسر المرض رثته إلا مسا ريفقا ، وهو الآن وبعد مضي ست سنوات وبفضل عنايتها هي علي الأخص قد أصبح بمنجاة من كل خطر . وقد أنجبا ثلاثة أولاد هم مضرب المثل في

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والابطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحجون وبه روايتان تمثيلتان)
١٨ نباتات الزينة العشبية (محلي باحدى وتسمين صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (محلي بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جيم المكاتب الشهيرة وكتب الزراعة تطلب من شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

عبد المعطي المسيري

يقدم كتابه الثاني

الظالمون

به القصص الآتية :

وكدى . بيني وبين نفسي . بيت الحظ . أول غرام . الصماليك

ترجم له القصص العظيم

محمود تيمور بك

لوحات فنية للأستاذين : بدر أمين وشفيق رزق الله

يطلب الكتاب من مؤلفه بهوية وميسر بدمشور ومن مكتبة النهضة بمصر ومكتبة فيكندوريا بالاسكندرية الثمن خمسة قروش صاغ

سَيِّدُ الْمَهْدِيِّ

للكاتب الأمريكي: لوريمير استودارد
بقتل السيد محمد العزاوي

أقدامهم لم تطأ هذه البقعة منذ عشرين عاماً ، وكانت عليهم حجراً محجوراً . لقد كسحناهم إلى مكان بعيد خلف ذلك السهل الذي ينبطح تحت أقدامكن واستراحوا إلى تلك البطاح التي تسفح رمالها المهاجرة فتصهر عظامهم وتحرق

أقدامهم إذا ما ساروا أياماً يطلبون الماء فلا يكادون يشربون »

فقالت المرأة الغضوب الشاحبة : « ولكنهم صرة عادوا . إنهم لا يحفظون لنا إلا ولا ذمة . فصاح زوجها الذي غطت صدره لحية شهباء : « نعم لقد أتوا مرة فأحرقوا لنا كوخين . ضرر صغير ما أحدثه الكلاب » . فضضت الزوجة على ذراع بعلمها لتسكنه خيفة : « مه ! » . وصمت الرجال من حولها متظاهرين بربط اللجم وإحكام السروج ولكنهم كانوا يرسلون بصرهم خفية إلى فتاة لبست سواد الحداد ؛ وقفت برهة ثم دخلت بيتها من دونهم . فقال ذو اللحية وهو يلتقط بندقيته :

— حقاً لقد أنسيتُ طفلها ؛ وما أنسانيه إلا الشيطان !

وشدوا الرحال في طراوة الصبح وغرة الضحى إلى الجبال حيث الصيد والشجر ... وبدأت الظلال المستطيلة تنقاص ما سبحت الشمس في السماء ...

وعادت التلكى إلى بابها فوقفت جواره . ولم يجيها أحد فيقرئها سلاماً ، وعادت كل امرأة إلى كوخها ، وبق الغلمان يلبون أمام المنازل الأخرى صاحبين ضاحكين ، يشيرون في أعينهم عثراً وتراباً ، ما أسمدم إن أمامهم يوم لمو طويلا

ولكن المرأة ذات السواد واقفة ما تزال ،

هب الرجال إلى أعمالهم متدافعين عليهم متواثمين ؛ وبمد أمد قصير كنت ترى عرباتهم وبنغالهم تحتفي خلف الهضاب القائمة بأقصى الأفق ، وكنت ترام بيدون من آن لآخر ، حين تسمح لهم بذاك فروج الغاب والهضاب ، فكأنهم زوارق يمشاها موج كالظلل من حين إلى حين ... وكانت صيحاتهم المرحية تحفت رويداً رويداً كلما بعد الركب واختفى في ضباب البعد بين أدغال وأحراج ...

ومكث الصبية بالحي والنسوة ، وبقى معهم رجالان من الخوالم قد وهن العظم منهما واشتمل الرأس شيئاً . وقد كان الركب بحاجة إليهما ليصحبا الصيادين في رحلتهم هذه « فأى أذى يلحق بالحي وضح الضحى ما دامت الديبة والنمر بعيدة في الأدغال؟ وعلى أية حال فسوف يأتي الركب محملاً عبرتيه بصيد سمين مع المساء » . وقال لمن جيم الصياد : « سوف نحمل لكن الديبة على البغال فلا نخشين بأساً ولا توجسن شراً » فتصاح الغلمان ورقصوا طرباً إذ تصور كل نصيبه في المساء بين يديه ينهشه ويقضمه في شوق ولهفة ؛ بينما النار تلعجه بصيدها ولظاها ...

وأمسكت أنثى غضوب بعلمها ، وصاحت به في خوف وهلع : « ولكن الهنود الجر... » فأضحك ذلك الجمع كله ، وصاحوا : « يا للهنود ... كيف ! إن

بين الهضاب والفيضان ففرغنا إلى النافذة فبصرنا
بجبل كثير تسبح في الهواء سبحاً عند منطف
الطريق . وسمعتنا وقع السنايك على الصخر سريعاً
مدوياً ، وعلى ظهور الخيل فرسان تلهبها بالسياب
والأرجل العارية ، فتهب الأرض في مرعة البرق
وبطش الماصفة . وهناك صرخت المرأة الشاحبة
وولت الأدبار . لقد كانوا الهنود الحمر ، جاءوا ليعيثوا
فساداً في حي البيض

عم الفزع وساد الهرج ، ولكنها أوصدت
من دونها الباب واستراحت إلى كوخها اللتين ،
وكانت تنظر من خصائص الباب فترى الأمهات
يجرّين على الهضاب جازعات هاربات ، وبأيديهن
أطفالهن الصغار

أطفالهن ! ... وأين طفلها العزيز ؟

لقد تحوت إذ ذاك إلى صنم من صخر وفتحت
الباب ...

وتجاذبها الهنود بيأس وقوة فشمثوا شعرها
وضربوها حتى كادت تموت . ولكنها دافعت عن
نفسها أحسن مما يدافع عشرة رجال سوياً . وماذا
تعمل وقد كان هناك عشرون رجلاً وهي وحيدة
تعمل بين شرزمة من ذئب جائمة ... كان الطريق
مقفراً فلا شيء يدفع عنها عادية الهنود . وأمسك
أحد بنجرها وضغط ، فكادت تموت خنقاً وضربها
آخر على وجهها ، وسك صدرها حتى كادت تاتي
حنقها . وجذبها ثالث على جواده — بعد أن أحرق
كوخاً — وقرّبها مسرعاً إلى قلب الفلاة . كانت
يدها مغلوتين ، وعيناها غارقتين في دموعها الثرة ،
ولكن لم يكن بمنها من هذا شيء قدر ما يعينها
طفلها . « ترى الآن أين هو ؟ »

ساكنة ما تتحرك ، قابضة بيدها على الأخرى ،
شاحبة لا تطرف ؛ مرسلة بصرها — خلال
السبل — إلى حيث ضاع طفلها — إلى المكسيك
كان وجهها ناحلاً هزياً ، فلامحه حادة فائقة
قد لوحته الشمس بجرها فأكسبته سمرة قانية
لم تكن له من قبل وقد كان صبوحةا ... لم يكن
حياً بوجهها إلا عينيها السوداوين اللامعتين ، فقد
كانتا توريان يبريق غريب

وكان كوخها بعيداً عن الأكوخ الأخرى ،
يقوم على سفح هضبة تواجه الأبطح القفر
إنها سمعت قول ذى اللحية الشهباء : « ضرر
صغير ما أحدثه الكلاب » أنسى حينذاك طفلها ؟
وكيف بنسأه وقد وقفت تذكرة لمن ينسى ؟

بالقرب من كوخها تقوم صخرة كتب عليها
« ذهب ويلى ، ٦٩ » . لقد احتفرت
تلك الحروف يدها في آخر مكان لمب فيه طفلها
العزيز ، وادكرت كيف تركته وانسلت ، حتى
لا يبكي ويلج في استصحابها ، تركته دون أن تحتضنه
أو تلمسه . يا للألمي ! وهنا ضربت ذات السواد
بيديها حيطان كوخها :

— وى ! من لى بتلك القبله ، وأموت !

ولكنها ذهبت إلى جارتها الشاحبة ولم تكن
شاحبة إذ ذاك أو أرملة مثلها ، بل عروساً هائبة
ضحكتها ما شاء لها الضحك ، وتحدثتا بما سمح الحديث .
وإنها لتذكر أنهما كانتا تتحدثان عن النازين الجدد
في الحى . وكان يوم عطلة فغممه الرجال فاغتندوا إلى
الغاب يقطمون منه الشجر والفصون ايتنوا
أكوخاً لهم ومنازل . وبينما تتحدثان في سرور
وجدل إذا بهما تسمان ما ظنتاه نباح كلب يعدو

وقع السنايك والمفار ، تنتهي بطعم الطين في فمها ،
ونار الشكل في حنايا الضلوع .. وأقوها على الرمال
غائبة الوعى . ولما أن تاب إليها الرشد وذهب عنها
الروع ، ودعتها جيرانها الكثر ، سمت إلى كوخها
الذى تفت الآن بيا به سامدة لا تنطق ولا تبين ،
مقنعة رأسها لثلاثت يميناً ولايساراً ، مرسله بصرها
خلال الرمال إلى حيث راح « غمومها » إلى
المكسيك ...

وتماقت السنون وهي لا تزال وحيدة في كوخها
الذى كان يجب أن يمش به « اتنايه » . إنها الآن
ترى غباراً يقوم بأقصى الأفق . تراه هنا وهناك
— تذروه الرياح — من بين الهضاب يقترب دائماً
ويعظم أبدأ ، ولكنه كان هادئاً شفاً لا يمكن أن
يحمل بين ثناياه أحداً حتى الهنود !

إن الغلام الذى تعرف قدمات ، ولكن القنلة
أحياء بين أهلهم ينعمون . لو كان أحدهم بيديها
الآن ... لأرته كيف يكون النار إذن ، وكيف
يكون القصاص !

وظفت ذات السواد تصور ماهى فاعلة به إذ هو
بين يديها أسير ضعيف ، لترينه الموت والفرع الأكبر
ولتوسمته عذاباً ونكلاً . ومن أقدر على ذلك من
تاكل موتور ؟! ورامقت النار في المصطلي تستونق
من لهيبها ولظاها ؛ إذ زادت كتل الخشب توهجاً
ولهيباً . وألقت فيها حطاماً وحطاباً ، أتت به من
الجبل بشق النفس . ولكن النار لم تزد سميراً ،
بل لم تكف لأن تشيع الدفء فيها ، فجثت أمام
المصطلي ، وبصرت بالحديد يحمر قليلاً قليلاً . وتوهج
اسم المصنع الذى صنع الموقد . وكانت الحروف كلها
بارزة إلا المقطع الأخير من كلمة « مؤتمر Congress »

وكان الرصاص — من وراء — يثر فوق
رؤوس الهنود أزاً . لاشك أن البيض أتوا بتقذون
عيالهم وحمام . وفي الحق أنهم كانوا بمدون فوق
الهضاب كأن بهم مساً أو جنوناً ، وفر الجنود
عائدين كيلا تكون كرتة خاسرة ، ففروا بكوخها
وهناك كان الغلام — حيث تركته أمه — جازعاً
مذعوراً . فلما أن قاربه لوحته له بيديها المغلولتين
صأحجة : « يا أحق يا أحق »

وهنا ضربت ذات السواد جبينها بيديها قائلة :
« واحق ا » لم لم تمر به دون أن تلاحظه ؟
ولكنها توسات وتضرعت ، ثم تشاجرت
وأضلت لتصل إليه . ولكن الهندي توقف لحظة
ليخطف الغلام ثم يسير سيرته الأولى

فكرت أثناء الفرار فيما عساهم فاعلين بها وبطفلهما
مخاولت أن تطلق سراحه فينعم بحريته ، ولكن
الهندي كان ما كراً جباراً ...

وكان البيض يجردون في المدو وراء الزنوج ،
وفي ضرب الرصاص . وكان الجواد الذى كان يركبه
الهندي — ممسكاً بها وبطفلهما — يحمم من شدة
ما يمانى ، ويجاهد في المدو لاهتاً حتى كاد أن
يصوم عن النفس . فهو يجر أرجله السابحة في الهواء
واهتاً يكاد أن يبرك . ورأى الهندي ذلك ففرق
بين الصبي وأمه فأسقطها حتى يكفى الجواد حملها .
ولكنها قامت وعدت وراءهم غارقة في التراب لا تكاد
تنى من الأمر شيئاً . لا يد أن يخطفوها هي الأخرى
فدعهم — وهي باكية تمدو خلفهم — أن يأخذوها
فما سموا لها دعاء . وعثرت ولا مقيل من العثرة ..
وصاحت ولكن لا يجيب . كان هذا كل شيء .
فقصتها تنتهى هنا ، تنتهى بين التصايح والفرار ، بين

ولمت تلك الحروف والأرقام « S.S. 64 » يالها
من حروف ! فقد ادكرت كيف تركته أمام
الموقد يوماً فأعجبه وهج الحروف والأرقام فقبض
عليها في براءة وسذاجة ، فهي منقوشة على يده منذ
الصغر ، وإنها لتستطيع أن تعرفه من بين الملايين
بتلك الآية البينة !

ولكنه مات ، وبقي الزوج !

ووثبت ذات السواد فقد دارت بخلد هافكرة :
« لم لا تذهب إليهم تتوسمهم من بينهم . فربما ألقته
بين ظهرانيهم . لا عائق اليوم بتمهما . فهي بعد أن
ترتوى من الأماكن النزهة في السهل لا يهمنها من
أمرها شيء »

إن الرجال في حالم لاهون ، والنساء في
أكوأهن عاملات . فلن يبصر بها أحد فيمنهما
عن المضي إلى حيث شاءت و شاء لها الجوى !

وتأملت ذات السواد ثم قامت فأنحدرت على السطح
فولجت الأجرأج فهي في المرح تسمى . وكان الجو
لا يزال لطيفاً طرياً ... ولا يد للصحرأج من أخرى
حتى تصل إلى المكسيك . إذن فسوف تجتأزها
بصبر وجلد . تجدت في السير حتى أخذ المغار
يخنقها ويؤذيها . ولكنها سارت على الرمل قُدماً
لا تلوى على أحد . كانت تجدد في السير حتى إذا
ما تعبت نظرت خلفها إلى كوأها القائم في
أقصى المدى ، ثم إلى نافذة الكوأج المجاور حيث
تجلس المرأة الشاحبة

علا التراب حتى غرقت فيه فألمها وأسخطها ،
ولكنها مازالت تسير وتوسع الخطى . ولكن الخلع
كعب حذاءها فعوقها عن متابعة السير وأعيأها .
فجلست تبكي وتنسج . وفكرت في العود كيأ تلبس

حذاءها الآخر ؛ ذلك الذي تلبس أيام الأحد .
وبدت لها الهضاب بعيدة فعدلت عما اتتوت ، وسارت
إلى المكسيك سرباً . على أن ذلك لم يدم طويلاً ،
فقد خارت قوأها ، ووهنت أوصأها ، فاستراحت
إلى ظل صخرة ، وقد جف حلقتها حتى كاد ينحطم
ولا ماء بقربها يروها . فعزمت على أن تعود وتبدأ
مع الفجر مرة أخرى ، تكون فيها أشد على البلاء
وأقوى ؛ أو تذهب في الليل حين تسمح لها طراوته
بأن تتقدم مسافة لا تستطيع الغفول بمدها

وعانت في الرجوع أهوالاً وشدايد . وأخيراً
بلغت التل ، فبرزت لها — من كوأها — الجارة
الشاحبة وحيثها ، فلم تجب ذات السواد ، بل دخلت
الكوأج وأغلقت من دونها الباب ، ثم تطرحت
على السرير ، وجرعت من كأس الكرى جرعات ،
ونامت على نغم اللبأب وقرع النافذة . وانهدت
المرأة الشاحبة وأرسلت بصرها يجوب السهل ،
فبصرت بما بصرت به ذات السواد في ميمة الضحى :
بصرت بذلك الغبار الشف يسير قُدماً متكاتفاً
متدافماً ، وأحست برعدة الخوف تسرى بفرعها
لما أن رأته يسير نحو الملى ، وقالت في نفسها : « إنه
يهب دأعماً ، ولكن ليس بهذا الشكل المرعب » .
وأدامت إليه النظر ، ولكنها لم تر إلا ترأباً ؛
وازدهجت برأسها الأفكار ؛ غير أن فكرة سيطرت
عليها : أن تذهب إلى زوجة العمدة فإن لديها منظاراً .
وسخرت منها السيدة ؛ وظنت أنها مخلوق جبان
ولم تقدر المرأة الشاحبة على أن ترفعه بيديها
فقد علمها رعدة وزاد شحوبها . وتناولته امرأة
العمدة — وكانت ما تزال ضاحكة نشوى — ونظرت
خلاله فإلبت أن علا وجهها فترة وغيض لونها :

— إني أرى على البعد رأساً ...

فصرخت المرأة الشاحبة :

— إنهم منا الآن على أميال . فلا يزال لدينا

وقت وفير

— له ؟

— لنهرب ...

— ربما كانوا أصدقاء وادعين ...

— كلا، إنهم الزوج ... فالبيض ما يستطيعون

في تلك الفلاة حياة ... لنهرب في الغاب ... !

النجدة ... ! ساعدني ... ! حذري النسوة واجمي

الأطفال ، هيا ... !

واندفعت لبيتها ، بينما كانت الأخرى واقفة

تصيحخ السمع الرهيف ، وتحرص ما ترى ... حقاً

لقد أوجس قلبها خيفة ... وقد صدق الفؤاد ما

رأى ، إن هذه إلا غزوة أخرى

وساد السكان هرج وتصايح مكتوم ... كل

ينادى طفله وذويه ، وكانت الفتيات يتنقلن من كوخ

لآخر خشعاً وبكياً ؛ يحملن ما عرّ عليهن تركه للبقاء

الظالمين غمماً . وتجمع النسوة والأطفال خلف كوخ

كبير يحجب عنهن الميون الظالمة المادية

وقادت أباهما الفتاة الشاحبة . ثم هرعت إلى

كوخ صاحبها ونادت في صوت خافت واضح :

« أي ماري ماري ! » ، ولكن أحداً لم يجب .

فقد كانت ذات السواد تغط في نوم عميق ، وترددت

جارتها الشاحبة ... ولكنها أحجمت وأسرعت نحو

أخوانها اللأئي عدون خلال الشعاب إلى الجبال

حيث أزواجهن بصيدم لاهون

غشى السكان سميت القبور ... التراب لا يزال

يزحف عاتياً جباراً ... النساء يلمأن من بين الجبال

رؤوساً كأنها رؤوس الشياطين ... وذات السواد

ما تزال نائمة ، تحلم أن قد حان حين النار ، ونعم

الأوان ... ! وأنها تحمل بين يديها رأس هندي

عتيد

وداعب الهواء نافذة الكوخ بشدة وجزع .

فقامت ذات السواد وبين ضلوعها حس غريب ،

وتحاملت إلى النافذة ، وأطلت منها ، فلم تر شيئاً في

السهول ولا في الهضاب . ولم يكن بالطريق شيء إلا

شال كبير قد سقط بعرضه . وأحنث صوب الغار

فبصرت بالغازعات الماربات يجربن سامات واجبات ،

وأبصرت بشعورهن تسبح في الهواء من سرعة

العدو . فألقت السمع ، فهال سمعها وقع رتيب غريب

وحينذاك تبسمت : « انرا سرى » ! إنهم الهنود

جاؤوا بمبشون بالمحصنات والتاع . ألا ساء ما

يعملون

وجلست على طرف الوسادة مفكرة ... إن

هذا ما كانت ترجو وتطلب . أفيكون دورها هذا ؟

أم لا يزال دورهم ؟

إنها تستطيع أن تقتل « وامراً »

ولكن أين سلاحها ؟ ... لقد استعمار الرجال

بتدقيتها ...

فأين الآن فأسها ؟ ... إنها في الطابق الأول

إن الأرض لتمور موراً ، والخيل يكسح بعضها

— في الحي — بعضاً كأنها قطع الليل ، وتصايح

الهنود يتنجس في الطريق أمامها

هبطت الدرج سريمة ، وأخذت فأسها من

مكانها بالحائط ، وكانوا قد بلغوا كوخها ، فأضادت

الحجرة قليلاً . وقفلت عاقدة العزم على أن تقتل

منهم أحداً . ورأت بالباب « أحدم » يحجب عنها

الشمس بظهره المريض . فعضت على نواجذها

صبيحة علت من باب كوخها . وبرز إليهم هندي
وسيم يحمل ذراعاً رسفها يدي . فدعاهم بقلته للأخذ
بأثره . فأمرعوا مهطمين إلى الداعي فدلمهم على
مكان المرأة «الشكلى» فأرسلت عينها الحمر، وودت
أن تقتله . وأدلت رأسها من النافذة مهددة
بقبضتها : «أحد الهنود على الأقل !» ورمتهم
بالفأس ولكنها أخطأتهم . فأطلقوا عليها الرصاص
صارداً، ولم يصبها ...

والآن قرب الرجال ، فلما أن وجدتم الجريح
مسرعين إليه نكص على عقبيه ؛ وأمرع فامتطى
الجواد . وجمع يريد اللحاق باخوته ... وفتحت
المرأة إذ يمر بكوخها . ثم جاست على الأرض أمامها
قدر كبير من دم مسفوح

وعاد الرجال وما ليشوا أن تفرقوا لدى الهضاب :
فتبع الهنود فريق في الأبطح وفريق للحريق ...
وعلا الصياح وعمت الضوضاء في الحى والغوضى .
وزاد الصياح لما أن عادت النسوة والغلمان من مكانهم .
كل ذلك وهى جالسة وحدها حتى سمعت هتافاً
باسمها . لقد اجتمع الجمع بكوخها ، وقالت المرأة
الشاحبة «أين مارى» فأسرعت تهبط الدرج إليهم ..
وأسرعت نحوها الشاحبة ، ولكنها صدفت
عنها ، وأزاحتها من طريقها . ومسحت وجهها بكم
ردائها وقالت :

— هل أدركتموهم فقتلتموهم ؟ أما قتلتم منهم
أحداً ؟

فقال صاحبها « كلا يامارى لم نقتل أحداً »
وأجاب ذواللحية « لا ضرراً أصابنا هذه المرة » . فقالت
امرأة العمدة « إلا كوخى فقد أكلته النار ، وسوف
نبتنى كوخاً آخر » فصاحت ذات السواد :

— أنا لا أعنيكم أنتم ، ولكنى أعنى أولئك
المرءة الهنود ، هل قتلتم منهم أحداً ؟ هل قتلتم أحداً

وأخفت فأسها ثم طفت تراقبه دون أن تطرف
وامتدت يدها نحوها كالمخالب ، وبرقت عيناه
كأنها تورية الزناد . ثم تقدم صوبها فتملكها رعب
وقزع . فصرخت صرخة خافنة ثم تحطته فقفزت
إلى الدرج وأسرعت الخطو . وبينما هى تصعد رمت
غربها بقعد كان أمامها كي بموقه ذلك عن اللحاق
بها ، ثم ارتقت سلكاً آخر إلى «صفة» بأعلى البناء
دخلتها ، فأوصدتها ؛ فارتعت على بابها ، ثم طفت
تنتظر ، وساد السكون إلا فى الخارج ، حيث تسمع
صيحجات بعيدة . وجئت على الأرض مخبرها بسممها .
إنها تسمع ترديد النفس في صدر كبير ... وتلفتت
حولها فإذا بها ترى عيناً مبصرة تحديق فيها من
شق بالأرض ، ولكنها ظلت واقفة قابضة على السلاح
ولت الباب ظهرها . ولكنها «أصت» بأن
هناك شيئاً ، فاستدارت فرأت يداً — ذراعها تحت
السقف — تبحث عن قفل الباب لتفتحه

ورفعت المرأة فأسها فوق رأسها ... ولست
الآنامل قفل الباب وفتحته في هدوء ...
وحينئذ هوت الفأس — بكل ما ولده الثأر
من بأس وقوة — على رسخ يد الهندي فقفزت إليها
اليد ... وسقط الرجل موجماً

وساد السكون مرة أخرى ...
وبلل دم الجريح وجهها فأدفأه ...
وسمعت فى الخارج تحطم كوخ يحترق ...
فقصف الرصاص من بعيد ... فصيحجات تغالب
البعد السحيق . وسارت إلى نافذة الصفة . فرأت
منزل العمدة يحترق ... والهنود يتراجعون تاركين
جواداً واحداً يرعى . « انرا » تعرف صاحبه ؛ إنه
«أحدم» جاء قسام فكان من المدحضين . وبينما
الهنود يسرعون فى الفرار إذ بهم يقفون على أثر

وهدهوه ... وأخذت الشاحبة زهرة من عروة
ثيابها ووضعتها في اليد السوداء على المنضدة . ثم
خرجت في أعقاب الرجال والنسوة
لم تقلع ذات السواد عن التحديق في الحائط ،
ولكنها قالت : « دعوا اليد مكانها » فأجابها
المجوز : « إنها على المنضدة » ثم خرج وأوسد
الباب بلطف وخفة ...

واستدارت التكلية — وقد انطفأ الآن بريق
عينها — فأمسكت باليد ، وحلت عرى الثوب ،
فوضعتها على موضع الفؤاد من الضلع ، ثم أرسلت
بصرها يعبر السهل في أثر الركب يستقر عليه وهو
يشارف المكسيك

السيد محمد الهزاري

كتـابان قيـان

سبظهرانه في أواخر أغسطس

هكذا تكلم زرادشت

✽✽✽ للعلامة الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه ✽✽✽

اعترافات فتى العصر

✽✽✽ للشاعر الخالد ألفريد دي موسيه ✽✽✽

وكلاهما ترجمة الأستاذ

فليكس فارس

من أرسل ٢٠ قرشاً قبل صدور الكتابين عد مشتركا
فيرسل له الكتابان إلى حيث يقيم داخل القطر أو خارجه
« دون علاوة لأجرة البريد » ، ومن أرسل ٢٥ قرشاً
يرسل له أيضاً كتاب « رسالة النبي إلى الشرق العربي »
تأليف المترجم — العنوان : إدارة مطبعة البصير بالاسكندرية

يا جيم ؟ وأنت يا ذا اللحية ! أما قتلت أحداً ؟
فأجاب الرجال : « كلا ! » وقال آخر : « لقد
كانت جياهم أسرع من جياها فلم نلحق بهم » .
فقالت المرأة في زهد وكبرياء : « لقد ظفرت بواحد
لم أقتله ، ولكنني فعلت به أشد مما يفعل القتل ...
مهلاً ! » ثم اندفعت إلى الدرج ، فتراجعت النسوة
مدعورات والرجال يرمق بعضهم بعضاً
وأخيراً عادت ذات السواد ، وفي يدها شيء
رمته على المنضدة . « إنها كف أحد الهنود ...
سوف تفسد ذراعه ، فيدعونه يموت على الرمال .
أرايتم كيف عذابني وعقابي !؟ » وفزع النسوة واقترب
الرجال ، ولكنهم لم يلمسوا الكف البتراء فصاحت
بهم ذات السواد :

— أفكنتم تتخذون كلامي هزواً؟ أفرايتم
كيف يجبنون ويخشون لسما ؟!

وأمسكت باليد — باسمة بسمة نصر وازدراء —
وفتحت أصابعها ، فوقعت اليد على المنضدة ، وسقطت على
الأرض ، وانتسف وجه المرأة وبدت عليها علامات
التفكير ... ثم صرخت المرأة صرخة قوية واستدارت
نحو الحائط ، بائسة شقية ... وحاولت المرأة
الشاحبة أن تصل إليها ، ولكن زوجها أمسك بها
واقرب من المنضدة قليلاً ، ثم أمسك بالكف في
حذر كثير ... وتردد برهة . ولكنه فعل مثل
ما فعلت ذات السواد بخفة ومهارة . فتح أصابع
الكف ، وهناك على الراحة قرأ تاريخها ، في حروف
بيضاء كبيرة « S. S. 04 » . ثم تذكر الشيخ
كيف أتته ماري يوماً تحمل طفلها المضمدة
يده التي كواها حديد المصطلح الحار ، من عشرين
عاماً خلون . كانت اليد إذ ذاك صغيرة ، ولكنها
الآن كبرت وتكثرت . ونها من الجمع : « إنها
كف ابنا » ... ودلفوا إلى الباب في سكون

نكتة الامومة

أقصوصة مصرية
للأديب نجيب محفوظ

من الموسيقى الخافتة :

« أين أسوان أين ؟ .. أين خلوة
الصحراء تحتويننا معاً ؟ أين جدران
المايد تستر علينا ؟ أين زورق النيل
يجرى بنا على سطح الماء ؟ أين أنا وأنت
لا نفترق ونشهد معاً وجوه اليوم من

الفجر والصباح فالضحى والأصيل ثم المساء ؟ ...
واها .. »

فتهد الشاب تهدة هادئة لا كتهدتها الحارة
وقال :

« سنعود إلى أسوان في الشتاء القادم . أما من
الغد فإلى عش غرامنا المهود في شارع سليمان باشا »
« هيات أن تموضنا هذه الساعات التي ننتهبها
انهاياً من ذلك الشهر السميد الذي كنا فيه جسماً
واحداً وروحاً واحدة »

وحاول أن يجيها بمنزل حماسها ، ولكن خذلت
نفسه الهادئة الملولة فتمنع بقوله « صدقت يا عزيزتي »
ثم قام إلى النافذة الأخرى ففتحها ، وكان القطار
قد بلغ المحطة وأخذ يرسل صغيره المدوي في جوفها
العظيم ، فأرسلا بناظريهما إلى إفريز الاستقبال ،
وكان ضردحاً بالجمهور . وسمت الأستاذ يقول :

« ها هم أولاء ... زوجك وحياة ومدحت »

فقلقت عينها بين الرؤوس المشرتبة حتى
اطمأنتا إلى رأس حياة الذهبي ، فرق نلها حناناً
وتحوّلت عن النافذة وانطلقت تمدو خارجة والأستاذ
في أثرها ، وعلى الأفريز هرع إليها مدحت وحياة
وهما يصيحان : « ماما » فتماثقوا عناقاً حاراً ، ولما
تخلصت منهما رأت زوجها الشيخ وهو في عباءته
الفاخرة ، وطربوشه مائل إلى الخلف يبدى عن

عندما أخذ قطار السميد يهدى من سرعته
كان نور الفجر الأزرق الحالم قد اكتسى بحلة
فضية من ضوء الصباح النير ، وقد فتحت السيدة
روحية هانم عينها مع بزوغ أول شمع من أشعة
الشمس ، ولبثت لحظة مستسلمة لتراخي النوم ، ثم
اعتدت في جلستها وأدارت عينها الزرقاوين الغائبتين
في أنحاء الصالون حتى استقرتا على وجه الأستاذ
عاصم الذي كان يغط في نوم عميق . فلاحت فيهما
نظرة حب وحنان ، وكان من الضروري إبقاظة
لدنو القطار من محطة مصر إلا أنها لم توقظه قبل أن
تقوم إلى المرأة الصغيرة الموضوعية بين صورة
الكرنك وأجامنون فتسوى شعر رأسها وتمسح
خديها وجيدها بالبودرة المطرة ... وتنبه النائم
على لس أناملها ذات الأظافر الأهرامية الجراء ...
وكان أول ما مس إحساسه من عالم اليقظة راحة
أنفاسها الزكية وهي تطبع على شفثيه قبلة شبيهة ...
وفتحت النافذة وأطلت منها برأسها الذهبي كأنها
شمس تشرق من الأرض ، قرأت بناء المحطة يدنو
من بعيد فالتفتت إلى الأستاذ وقالت وهي تنهد :

« وآسفاه ... انتهت سافرتنا »

فقال لها وهو يتمطى :

« هذه نهاية كل رحلة .. أما الحب فلانهاية له »
فقال بصوت جعله الشوق والوجد كالحن

فقال الرجل :

— لا يجوز أن تم خطوبة فتاة في غياب أمها ...
ولكنها ستم قريباً بأذن الله

ونظر الأستاذ إلى الفتاة وقال مبتسماً : «مبروك»
أما الأم فسألت :

— من هو ؟ وأجابه الرجل :

— طلعت، ابن شريكى

وسأل المحامي :

— هل هو موظف ؟ فقال الرجل بزهو :

— نعم ... وكيل نيابة

وأطبقت روحية هانم شفتيها فلم تفه بكلمة
أخرى ، واستسلمت لأفكار غامضة فغابت عن
الحاضرين ، وانتهت السيارة إلى الفيلا ودخلوا
جميعاً ومهمم الأستاذ عاصم
ولكنه استأذن بمد قليل وانصرف إلى بيته

القريب

كان السيد محمد بك طلبة من كبار تجار الشاي
المعروفين بمصر وقد ربح من تجارته ثروة عظيمة
تقدر بمئات الألوف من الجنيهات؛ وكان في أخلاقه
صورة من رجال طائفته الناجحين في حسن التدبير
وعلو الهمة والحرص ؛ وبالرغم مما تحفل به حياته
من التجارب والمخاطرات، وبالرغم مما صادفه فيها
من وبيلات المحن وفرص النجاح ، فإنه ما يزال يمد
زواجه أخطر حادث في حياته ، وهذا هو اعتقاده
الدفين وإن لم يصرح به ؛ وقد وقع هذا الحادث
الخطير منذ عشرين عاماً — وهو في الخامسة
والأربعين — إذ كانت يقوم بإحدى رحلاته
التجارية بسوريا ، وقد التقى هناك بأسرة زوجته
(٥)

شعره الخفيف الأبيض فجمدت عيناها وتقدمت
إليه ومدت يدها فلم عليها واجماً ووضع يده أيضاً
في يد الأستاذ عاصم ... وساروا جميعاً إلى الخارج،
الزوج في المقدمة وخلفه الزوجة بين مدحت وحياء
ومن وراء الجميع الأستاذ ... واستقلوا السيارة التي
انطلقت بهم في طريق الزمالك ...

وجلس الزوج وزوجه وحياء في ناحية وجلس
في الناحية المقابلة الأستاذ ومدحت ، واستطاع
عاصم أن يرى حياة عن كثب لأول مرة إذ أنها
لم تكن تقابله في زيارته المتكررة لوالديها ، فمجب
للشبه العظيم الذي بين الأم وابنتها فلم يكن يفارق
بينهما إلا ما يفارق بين نضارة الشباب الأولى
ونضوج الأنوثة الكاملة ، فكانت الفتاة كالياشمينة
المبقة في الزمن ، وأما الأم فكانت الناضرة في
الزهرة ...

وظلوا صامتين جميعاً حتى قال الزوج :

— كيف كانت الرحلة ؟ لعل صحتك تحسنت

يا هانم ؟

فأحنت المرأة رأسها وتمتمت « الحمد لله » وقال

الأستاذ :

— قل أن تغيب الشمس في أسوان وهي أنجم

دواء للهانم ...

فابتسم الرجل عن أسنان ذهبية صناعية وقال

— يسرنى أن أسمع هذا ، وعسى أن تسراً

بدوركا لأنبائنا ، فهنئنا حياة بخطوبتها القريبة

واحمر وجه الفتاة وخفضت عينيها حياء ،

والتمت عينا الأم وبدا عليها الاهتمام ورددت نظرها

بين حياة وزوجها وسألت بلهفة ودهشة :

— هل تمت هذه الخطوبة ؟

وتعرف إلى والديها ، وكان الأب سورياً والأم أمريكية . ورأى ابنتهما الشابة الفاتنة ساعة فوق في حبها وجن بها جنوناً وتحركت في أعماقه غريزته التجارية غريزة الامتلاك فخطبها إلى والديها ولم يستدر ذلك الشهر حتى تم زواجه منها ، وعاد إلى مصر « بأعظم رخ وأجل امرأة في الوجود » كما قال لنفسه حينذاك ...

وبدأت الحياة الزوجية بنجاح لا بأس به ، وأثمرت على مر الأيام طفلين جميلين مدحت وحياة . فبشر مقدمهما الأسرة بداوم السعادة والمشرة ... ودارت السنون دورة سريرة فوجد البك أنه أخذ يجتاز الحلقة السابعة ، ويقنع من الدنيا بمشاهدة مدحت وحياة ، ويكتفى من الحب بتذكر أحلامه المنطوية ... وأما المرأة فألفت نفسها في مكتمل الأنوثة ونضوج الشباب فلم تجمل نفسها القناعة من الدنيا بالأبناء والأحلام ، إذ كان شبابها عنيداً جباراً دائب الثورة على الزمن ... فتصدع اثنلاف الزوجين ، وعجزت شيخوخة الرجل عن كبح هذه الحيوية الثائرة فانكشفت أمام سيلها العارم وخلت لها المنحدر وانزوت مطعونة باليأس مذعنة بالتسليم واتفق أن كان الأستاذ عاصم المحامي - صديق الزوج وجاره - السبب المباشر في انفجار هذه الثورة الحيوية العنيفة ، وقد تحيرت (صالونات) الزمالة في تحديد علاقته بروحية هانم ، فمن قائلة إن هذا المحامي الجميل ليس إلا صديقاً الأسرة ، ومن هامسة بأنه عشيق الزوجة ومتغفل الزوج ، ومن مؤكدة أنه عشيق الزوجة على علم وتسليم أو - على الأقل - تفاض من الزوج . وظل كل فريق على رأيه حتى ذاع خبر تلك الرحلة الشتوية إلى أسوان التي قيل

في تمليلها إن الأطباء نصحوا للهانم بانتجاع الصحة في مصر العليا، وأن الزوج - الذي تمنعه أعماله في مثل هذا الوقت من السفر - عهد بالزوجة إلى صديقه المخلص المحامي الذي يسافر عادة في بناير كل عام إلى أسوان... هنالك قطع الشك باليقين واتفقت الآراء ...

وكانت روحية هانم لا تهتم بشيء اهتمامها بشبابها ، فكانت لا تنى عن العناية به والتفكير فيه حتى غدا ذلك وسواساً ومرضاً ينقصان حياتها بالمخاوف والأوهام ، وكانت كلما تقدم بها العمر يوماً تزايدت وسواسها واشتدت مخاوفها ، ذلك أنها كانت تحس في أعماقها بيلوغ قمة الشباب التي لا يعقبها إلا الانحدار ، وكانت تعلم أن شبابها هو سعادتها لأنها بدونها لا تستطيع أن تجذب إليها الرجل الذي تحبه والذي تعلم - مع الألم الشديد - أنها تكبره بما لا يقل عن عشرة أعوام ...

ولطالما تذكر ما قالت مرة امرأة - تملن لها الود ونكتم العداوة - في مجلس لأخرى وهي تعنيها بالذات من أن النساء اللاتي يحافظن على شبابهن بعد فوات عهدهن يهرمن مرة واحدة بلا تدرج... واه... كما سخرت من رأى هذه المرأة وكما أرجعته إلى الحسد التي تحملها لها، ولكن لا سخريتها ولا تظاهرها بالاستهانة أفادا شيئاً في مغالبة الذعر الذي استولى عليها والرجفة التي استحوذت على أعصابها... ففدت كالجنونة يخفق قلبها جزعاً وإشفاقاً كلما طرقت أذنيها دقات الساعة وجعلها ذلك في حيرة بين حبها لمدحت وحياة وبين الخوف منهما ، فهما بلا شك لذة الأمومة التي تخفق في صدرها ولكنها آبتان على كذب شبابها،

أما راحتها من وعناء السفر وأن تذهب إليها لتطبع على خدها الوردى قبلة التهئة فتعلن بها رضاها وموافقها فتم الخطوبة وتكمل السعادة

ولكنها إذا فعلت فستفقد الابنة زوجة وتسمى أمًا فتسمع عن قريب من يناديها بقوله: «جدتي» جدتي! لقد نطقت بهذه الكلمة الشنماء فدوت في أذنيها دوى التصويت والنواح فأرجم لها جسمها البض وخفق لهولها قلبها العاشق... وأحست ببرودة الخوف تسرى في أعصابها سريان الجفاف في الفصن الرطيب... وخيل إليها الوهم أنها تجلس إلى مقعد وثير وإلى جانبها ابنتها وعلى حجرها غلام وكأنها تسمعه بأذنيها يهتف بها: «يا جدتي» ورأت نفسها وقد ذوى جمالها وتمضن جبينها وغارت عيناها ورق خدها وابتض شعرها... فانتفضت واقفة وكتمت صرخة رعب كادت تغلت من شفيتها، وهزت رأسها بعنف لتطرد عن خيالها الأطياف المرعبة، حتى إذا عاودها اطمئنانها صاحت «أبدأ... أبدأ... لن يكون هذا» ولبثت ملازمة لحجرتها غير عابثة بما عسى أن يحدثه غيابها في نفس ابنتها العزيزة، حتى ثقل الأمر على البك فاستأذن عليها ودخل، وجلس قبالتها وجعل يرمقها بعينيه الحادتين وهو يرجو أن تقامحه بالحديث، ولما لم يدع له إصرارها أملا قال:

— أرجو أن تكون أسوان قد شفت أعصابك وأغضبها قوله، وظنت أنه يتهمك عليها فنظرت إليه نظرة حمراء، ولما شاهدت عينيه الحادتين وقر في نفسها أنه هو الذي سقى إلى هذه الخطوبة، وأنه سقى إليها تأديبًا لها وانتقامًا منها فهو أعرف الناس بها وأعرفهم — على وجه الخصوص — بما يسرها

أما حياة فقد بلغت السادسة عشرة من عمرها وهي تخطو إلى النضوج بخطي سريمة تدل عليها معاني العيين ونهوض الثديين، وأما مدحت فتعذبه لها أشد إذ أن هذا الشاب — الذي لم يجاوز الثامنة عشرة بنمو نموًا خطيرًا فهو فارع الطول جاهر الفتوة عريض المنكبين، والأدهى من هذا كله غرامه بشاربه ومطاوعة الشارب له، فالشاب يحب الرجولة ويستزيد منها حب أمه للشباب واستزادتها منه... وقد كانت حريصة على استصحابه كلما خرجت حتى قالت لها امرأة من صاحباتها: «ما أحرى الذي يراكما بأن يقول ما أسعدهما من زوجين!» ولم تدر ما إذا كانت المرأة تثنى على شبابها أو تمزمه وعلى كل حال لم تستصحب فتاها بمد ذلك أبدًا... على أنه لاح في أفقها الآن ما يستخف بجميع همومها السابقة، إذ ما مدحت وما شاربه إلى زواج حياة المنتظر!

لقد بنفها الخبر، وكانت البغنة من الشدة بحيث لم تدع لها فرصة للتدبر ولا للتفكير ولا حتى للتظاهر بالفرح أمام ابنتها إذ هما بالسيارة... فلما ذهبوا إلى القبلا خلت إلى نفسها بحجرتها معتذرة بتعب السفر، وفي عزلتها عاودت التفكير في هدوء وإيمان فتوالت عليها الفروض والنسورات، فهي لا تشك في أنه لولا الحياء لغنت حياة فرحًا وسرورًا، وأي فتاة لا تفرح للزواج؟ وخاصة إذا كان الشاب في عنفوان شبابه وجيهاً في مجبوحه من الفنى والجاه سيداً في وظيفة تنبئ على جميع الوظائف فالملها باتت تفرد في قلبها أطياف الحب وتخلق في جوها الطاهر أحلامه المذبة، فهي جد سعيدة بحاضرها، جد آملة في مستقبلها، ولا شك أنها تنظر الآن أن تستعبد

ولا أفكر في التنازل عنها ، وإني لأشفق من أن
تضيع على ابنتي مثل هذه الفرصة الذهبية، ولذا فإني
أعلنك - وإني أعني ما أقول - بأنى سأعقد
هذه الخطوبة ...

فقامت غاضبة وأشارت إليه بيد مرتجفة وصاحت:
- وأنا أؤكد لك بأنها لن تتم ...
فهز الرجل كتفيه استهانة وغادر المكان وهو
يقول « سئرى »

وصبرت المهائم حتى عاودها شيء من هدوئها
ثم دعت إليها ابنتها ، وحدثتها حديثاً طويلاً عن
حبها لها وحبها عليها وتوخيها ما ينفعها وإشفاقها
مما يضرها ، ثم خلصت إلى مادعتها - في الحقيقة -
من أجله فأعلنتها بأنها لا توافق على زواجها وأنها
ترغب في تأجيله بضع سنين خوفاً على صحتها، ورجتها
رجاء حاراً أن ترفض يد ذلك الشاب وألا تدعن
لإرادة والدها ...

وصممت الفتاة صمتاً بليغاً ، ولادت به من
الرفض أو القبول ، وعبثاً حاولت المرأة أن تخرجها
عن صمتها ولكنها فهمت منه ، وبما طالمت في
وجهها من الحزن والاستياء ما أشقى بها على اليأس
والقنوط ...

ولبت الفتاة في حضرتها ما لبثت ثم غادرت
الغرفة ولم تنفرج شفاتها عن غير التحيتين ... تحية
اللقاء التي نطقت بها في مسرة وفرح، وتحية الوداع
التي قالتها في صوت خافت بارد ... وحين جنون
الأم وازدادت تشبهاً وعناداً ، ووقفت من الزواج
موقف المقاطمة والتحدى . فلما جاء الشاب الخطيب
لزيارتها أبت أن تقابله كما رفضت مقابلة أهله من بعد
واضطر البك إلى انتحال الاعذار الكاذبة لها ،

وما يسوؤها ، واشتد بها - عند ذلك - الغضب
فمضت على شفها السفلى وأعلمت الرد عليه ، فقال
كالدهش :

- مالك ؟ لست كمادتك ... والأعجب من
هذا أنك لم تفرحى لما بشرتك به !

فاحتاجها الفيظ وقالت محنقة غاضبة :
- لن تتم هذه الخطوبة ...
فبدا على وجه البك الازعاج وقال :

- ماذا تقولين يا هانم ؟
وأجابته بصوت صارم :

- أقول إنه لن تتم هذه الخطوبة ...
- كيف ؟ ... وله ؟ ...

- إن (حياة) ما زالت صغيرة السن
- ولكنها بانمت سن الزواج القانونية
- ماذا يفيد القانون إذا كان الزواج المبكر
يؤذى صحتها ؟

- لقد تزوجت يا هانم في مثل سنها ومع هذا
فإن كل من يراك يشهد لك بالصحة والنضارة ...
فضربت الأرض بقدميها وقالت محنقة مفيظة
- أنا دائماً أشكو من أعصابي ...

فضيق عينيه ورفع حاجبيه وقال بتهمك :
- ربما كان ذلك لملة غير الزواج ...

فقلها الغضب واشتد بها الانفعال وقالت
بصوت متهدج :

- باختصار إن تتم هذه الخطوبة ...
ولكن الزوج صر على أسنانه الصناعية وقال :

- لقد أطلقت لك الحبل على غاربه وملكتك
حريتك الكاملة وقلت لك منذ عامين « أنت
وشأنك » ... ولكني لم أنازل عن حقوق كوالد

« حقيقة أنك لم تسبق لك بها معرفة وثيقة كما تقول ولكنها تعلم أنك صديق والديها ، وقد سمعت في بعض المجالس ثناء كبيراً على نبوغك في الحمامة فهي لاشك تقدر رأيك حق قدره وتنزله من نفسها منزلة سامية ... »

فتورد وجه الشاب وذكر وجه الفتاة الجميل الذي سمع برؤيته ساعة في السيارة صباح العودة من أسوان، فلم يستطع أن يرفض ولكنه قال متسائلاً: « فكيف لي بمقابلتها على انفراد لأحاديثها في هذا الشأن الخطير؟ وإذا قابلتها فكيف أفاطمها به؟ » فتهدت المرأة ارتياحاً وقالت :

لقد دبرت كل شيء ، سأستصحبها يوم الأحد القادم لشراء بعض الحاجات ، وعليك أن تقابلنا - مصادفة طبعاً - في شارع سليمان باشا الساعة الخامسة مساء ، وتقترح علينا التنزه قليلاً على جسر قصر النيل فأتركها معك واعدة بأن ألحق بك بعد دقائق ، وتنتظر اني ساعة على الأكثر فان لم أعد تأت بها إلى شيكوريل حيث تجداني ، وفي أثناء ذلك تستطيع أن تطرق الموضوع بلباقة الحامى وتفضى إليها رأيك في الزواج المبكر ... ما رأيك الآن ؟ »

وقبل الشاب بسرور خفي، فتركته المرأة وذهبت إلى الفيلا على مجل ، وأغلقت على نفسها حجرتها وأحضرت ورقة وقلماً وكتبت ما بلى بيد مضطربة وبخط جهدت أن تخرج به عن مالوف خطها :

سيدى الأستاذ ...

أنت شارع في الزواج من كريمة محمد بك طالبة ولكن ينبغي قبل ذلك أن تذهب بنفسك كل

وبذل الرجل ماني وسمه لاقتناعها بالتحول عن عنادها وتوسل إليها باسم ابنتها ، ولكنها ركبت رأسها وأبت أن تصني إليه حتى انفجر مرحل الرجل وأقدم على الافضاء بالحقيقة إلى شريكه - والد الخطيبة - وشكا إليه قسوة امرأته التي تضحي بسعادة ابنتها في سبيل شبابها الكاذب ... وطلب إليه أن يعاونه على إتمام الزواج - رغم إرادة الأم - إنقاذاً للفتاة من أنانية أمها المتوحشة ...

وزاعت هذه الكلمة التي قيلت سرراً في جميع الأوساط الراقية ، وتحدثت بها (الصالونات) حتى بلغت أذنى الأستاذ عاصم المحامى الذى يلغها بدوره إلى روحية هانم نفسها ولكن لم يكن هذا - ولا ما أصبح بيديه مدحت وحياة من الاستياء والتنفور إلا ليزيدها عناداً وإصراراً ... ووجدت المرأة أن كل ما قيل وذاع لم يفن فتيلاً في عرقلة الساعين إلى إتمام الزواج ، وكانت ترى في نجاح مسعاهم القضاء الأخير على سعادتها وشبابها وغرامها، فانبرت للدفاع عن نفسها دفاع اليائس المستميت واهتمت - في قنوطها - إلى فكرة جهنمية شريرة لا تخطر على قلب أم أبداً، وسارعت إلى تنفيذها بقلب أعماه الخوف والجنون عن البصر بالمواقب ، فقصدت يوماً إلى عشيقها وطلبت إليه أن يقنع ابنتها بالمدول عن الزواج ، وقد دهش الرجل وحق له أن يدهش وقال لها ...

« وما أنا ولهذا ؟ ... ثم إنه لم تسبق لي معرفة وثيقة بالآنسة حياة فلا أدري والحالة هذه كيف يجوز لي أن أحادثها فيما هو من صميم شئونها الخاصة ؟ ... »

ولكن المرأة استهانت باعتراضاته وكذبت عليه فقالت :

ولما خلت إلى نفسها ذلك المساء نهدت وقالت
« إن (حياة) لا تحاول إخفاء نفورها مني »

نفورها ! وما النفور إلى جانب ما صنعت هي ؟
أى فعلة شنعاء ! أى إثم منكر ! إنها تعرف نفسها
أكثر مما يعرف الناس ، وهي تعلم أنها سيئة
التصرف ، كثيرة الأخطاء متسرعة هوجاء ، ولكن
لم يسبق لها أن أخطأت خطأ منكراً كهذا الخطأ.
ومالها تسميه خطأ ؟ ولماذا لا تسميه باسمه الحقيقي
فتقول إثم وجريمة ؟ فهو جريمة شنعاء لأنه ليس
أقل من محاولة تلويث شرف ابنتها والقضاء على
مستقبلها في سبيل شهواتها هي . يا للفظاعة !
لو أمكن فقط أن يبقى هذا سراً مكتوماً ، ولكنه
لن يبقى كذلك لأنها في الحقيقة وإن كانت فكرت
تفكير شيطان إلا أنها دبرت تدبيراً أطفالاً ؛ فالرسالة
التي كتبت قد تكفل لها نسخ الخطوبة ، ولكن من
يضمن لها ألا يتصل خبرها بزوجها ؟ ومن يضمن
لها ألا يسأل الرجل ابنته عما جاء فيها ؟ وإذا
صارحت الفتاة أباهاً بأنها هي — أى أمها — التي
تركتها مع الحامي ذلك اليوم فما عسى أن يتحدث
الرجل ؟

أواه ! قد لا تكترث لغضب زوجها ولكنها
على وشك أن تفقد حبة ابنتها إلى الأبد ، بل ابنتها
وابنتها مما لأنه لا مدحت ولا أى ابن في الوجود
يستطيع أن يبر بمثل هذه الأمومة المتوحشة ،
وأحست عنداك بقشمية تسرى في جسدها
واستولي عليها زعم لم تشعر بمثله من قبل وبانت
فريسة الآلام والخاوف ...

ولأول مرة منذ أن سمعت بنياً خطوبة حياة
أبجه تفكيرها نحو الخير فودت لو تستطيع أن تكفر

يوم إلى جسر قصر النيل الساعة الخامسة مساء
وخصوصاً أيام الأحاد »

ثم كتبت على الفلاف عنوان الخطيب ووضعت
الخطاب فيه ، وترددت لحظة رهيبية ثم نادى
خادماً وأمرته بوضع الخطاب في صندوق البريد ...
وجاء يوم الأحد وخرجت الأم وابنتها وحدثت
المقابلة مع الأستاذ ، وتم لها ما أرادت من تركها
معه ، وذهبت بمفردها إلى شيكوريل وابتاعت
حاجاتها ولبثت تنتظر حتى حضر الأستاذ وحياة
وقد اعتذرت إليهما قائلة :

« أوه ... لقد تأخرت عليك لأن المحل مزدحم
كما ترى . لا بأس ، أظن أنه ينبغي أن نذهب الآن.
نستودعك الله يا أستاذ ... »

وفي الطريق لازمت المرأة الصمت وقد انتظرت
طويلاً أن تفتحها الفتاة بالكلام ولكنها ظلت
واجمة كأنها تجهل اللغة التي تنكلمها أمها ، واختلست
المرأة منها نظرة فرأتها جامدة باردة لا تعبر وجودها
أدنى اهتمام فانقبض صدرها وتذكرت — آسفة
حزينة — كيف كانت في حضرتها لا تمل الحديث
والضحك والمداعبة ، وضاق صدرها بصمت الفتاة
فقالته تحملها على الكلام :

— كيف كان التزمه...؟ وماذا قال لك الأستاذ؟

فأجابته بإيجاز قائلة :

— تحدثنا أحاديث عامة نافهة لانستحق الاعداد

— وما رأيك فيه ؟

— هو جنتلمان

وكانت ترجو أن تعرف من إجابة الفتاة الأثر

الذي تركه حديث الأستاذ في نفسها ولكنها لم تستطع
أن تدرك شيئاً ...

فاحتاجها الغضب لتسكمه وقالت وهي تنظر إلى
وجهه نظرة غيظ وكراهية

— إلى أعجب من تصرفك هذا، أيجوز أن
تأذن لها باسطحاب الأستاذ وأنت تسمى إلى تزويجها
من رجل آخر؟

فهز الرجل كتفيه وقال

— فسح الرجل الآخر خطوبته

نخفق قلبها واصفر وجهها وتساءلت : ترى هل
علم شيئاً عن الرسالة ؟ واستطرد الرجل قائلاً

— عليك تقع تبعة ذلك يا هائم فرفضك

— وما ذاع عنه — زهد الشاب في الفتاة

ترى هل اكتفى الشاب بالانسحاب دون أن
يطلع زوجها على الخطاب ؟ ليت ذلك يكون !!

وعاد زوجها يقول بقسوة لم يستطع إخفاءها
— وقد أخبرتني حياة بأنك تركتها مع الأستاذ

عاصم ساعة في قصر النيل فظننت أنك تفضيلينه على
الشاب الآخر فلما استأذنتني في الذهاب معه أذنت
لها وقالت لنفسى لا على من هذا، فعاصم شاب جميل
ونابغ في ذننه ...

عند ذاك لم تستطع صبراً فولت مدبرة تترجح
في مشيتها كالصاب في مقتل ...

وتذكرت النمل القاتل « على الباغى تدور
الدوائر » فقد فعلت ما فعلت وارتكبت ما ارتكبت
وفقدت ما فقدت لتحافظ على حب الرجل وها هي
ذى توشك أن تفقد — بمسماها هي دون غيرها —
الرجل وحبه

ياله من ألم ساخر ! ليتها أبقت على الخطيب
الأول أو ليتها تستطيع أن تسترده بأى ثمن
ولم تم من ليلتها ساعة واحدة . وعند الصباح

عن خطيبتها يبذل التضحية الغالية وظلت تفكر
صادقة مخلصة حتى قطعت عليها تفكيرها الحوادث .
فعند أصيل يوم من الأيام رأت المرأة ابنتها ترتدي
معطفها وتتأهب للخروج فسألها برقة : « إلى أين ؟ »
وأجبت الفتاة قائلة : « إلى السينما » فسألها بتمعجب
« بمفردك ؟ » فأجابتها ببرود قائلة : « مع الأستاذ
عاصم »

وأصاب الجواب منها مقتلاً فاستولى عليها
ذهول شديد وقالت دهشة :

« ولكنك لم تستأذني أحداً ؟ »

فقالت الفتاة بشيء من الجفاء :

« استأذنت بابا وأذن لي »

« وهل طلب الأستاذ البك أن تذهبي معه

إلى السينما ؟ »

« نعم »

« متى ... وأين ؟ »

« على جسر قصر النيل ذلك اليوم ... »

وغشيت عينيها سحابة ظلماء فجمدت في مكانها
لا ترى شيئاً . ولما أفاقَت كانت حياة قد غادرت
البيت ...

وتيقظت غريزتها صرعة أخرى ، قطعت على
عواطف الخير التي تحركت في قلبها منذ حين قليل
وختفتها كما يخنق الماء الأجاج الورد اليبان فذهبت
توأت إلى زوجها وقالت له غاضبة :

— لم أذنت لحياة بالذهاب مع الأستاذ ؟

فقال الرجل بلهجة تهكمية :

— ولم لا ؟ أليس هو الصديق الصدوق لأمرها

وأبها ؟

حدثت المحامى بالتليفون وقالت كما تعودت أن تقول دائماً « مساء اليوم فى عشنا ... هه » فأجابها بغير ماتعودت أن يجيبها به قال « آسف جداً يا عزيزتى .. أنا مشغول جداً هذه الأيام »

وقد صدمها اعتذاره صدمة شديدة وخيب آمالها ولم يفتها منزى قوله « هذه الأيام » ولكنها لم ترض بالمهزيمة فقالت بسخرية صريحة « ومع هذا فأعمالك الكثيرة لا تمنحك من الذهاب إلى السينما؟ ماذا يستطيع أن يقول؟ قال إنه بالأمس فقط كان لديه متسع من الوقت أما الآن فلا ...! »

ورأت أنه لا يكلف نفسه حتى الاعتذار المقبول ولم يكلف نفسه؟ إنما يهتم بانتحال الأعذار من يهمله شخص المتندر إليه ... وقد غدت عنده شيئاً رخيصاً أو لا شيء مطلقاً . أو أهكذا تنقلب القلوب؟ أهكذا ينسى الانسان؟ أمن الممكن أن يضحي حب كحبهما ذكرى وحلماً فى لحظة سريعة؟ ألا من تدرج؟ ألا من رحمة؟

ولم تنقطع منذ ذلك اليوم المقابلات بين حياة والأستاذ عاصم وشاهدتهما معاً متنزهات القاهرة وخلواتها وملاهيها حتى توقعت الأم يوماً بعد يوم أن يتقدم الشاب لطلب يد الفتاة ، ولكنه كان أحزم من أن يرتكب مثل هذه الهفوة لأنه كان خبيراً بأخلاق روحية هانم عليها بطباعها وعنادها وغرامها به فرسم فى عقله خطة محكمة وعزم على تنفيذها بارادة لا يشبه عنها شيء . ولبثت روحية هانم فى حيرة من أمرها تمانى أشد الآلام النفسية والقلبية ، ونأسى بكراهية ابنتها لها وتحديها لمواطنها ، وتنمق إرادتها نهب الأمومة المحتضرة والأهواء المنيفة، حتى كان مساء لا ينسى إذ دخل

عليها زوجها يهز خطاباً فى يده ثم يرميه فى حجرها وهو يقول بلهجة الغاضب :

« اقرأى وانظرى ... أى جرأة ... »

فتناولات الكتاب بقلب مذعور متطير وقلقت عينها بين الأسطر الآتية :

سيدي المبجل

بصلك هذا الكتاب ونحن نستقل القطار الذاهب إلى بور سعيد حيث نبحر إلى أوربا أنا وعروسى - كريمتكم - لقضاء شهر المسمل وإنى أقر آسفاً بأنه لم تجر المادة بأن تعقد الزيجات على هذا المثال الغريب ، ولكن الظروف الدقيقة التى لا تجهلوننا لم تدع لى فرصة للاختيار ، وإنى كبير الأمل فى أن تقدرُوا سلوكى تقديراً عادلاً ، ولست أقل أملاً فى نيل عفوكم القريب .

ودمتم للمخلص

عاصم عادل

زاعت عينها وحجبت غاشية الغضب الكلمات عن بصرها فظلت منكسة الرأس لا ترى شيئاً ولا نرى شيئاً والقنوط يتسرب إلى قلبها كالغاز السام ، ولم تحاول قط أن تقاوم نفسها النهاراً أمام زوجها كأنها نسيت وجوده نسياناً تاماً ، وكان الشيخ يمدحها بنظرة قاسية متشفية ، فلما وجدها تهدم وتضمحل ولاها ظهره وذهب

ولبثت فى غيبوبة الحزن حيناً طويلاً ثم رفعت رأسها الثقيل فوق بصرها على صورتها فى المرآة فارثعت وجففت لأنه خيل إليها أنها ترى جمالها يذوى وينضب وتمشاه سيبا الحرم ...

بجيب محفوظ

المجنونيات

للكاتبة الفرنسية ماري بسنيري
للسيد صلاح الدين المنجد

ما ينقص عيشها إلا أن زوجها بعيد
عنها ما تراه ولا يراها ... إنها لتذكر
ذلك اليوم الذي دخل فيه عليها ، وقال
بصوت هادي حزين : « سأذهب إلى
الجزائر يا جورجيت مع رفاق صباي ،
لترفع هناك علمنا ، ونمكن الأمر

لرئيسنا ... فلا تبك يا عزيزتي ، لقد وعدت أن
أكون قائداً إن أحسنت البلاء ... ثم أعود إليك
بعد حين راضى النفس ، مطمئن الخاطر ... لا تبك
يا عزيزتي ... لن أمكث هناك إلا قليلاً ... إلى
اللقاء ... » ولكن ها هي ذى خمسة أعوام تمر
وبرنارد لا يزال بين أبناء الشمس الأقوياء ...

وكانت نفس جورجيت تفيض أملاً بالحياة
والرجاء . لقد رزقت الطفل فنشأته بعناية وعطف
وربته برأفة وحنان ، ولم تدع لليأس سبيلاً إلى قلبها ،
ولم تترك للحزن مدخلاً إلى نفسها . وكان برنارد
يحدثها في رسائله اللاهبة بالحب ، الطاخة بالشوق ،
الملوءة بالقبل ، أحاديث تبعث فيها النشوة والفرح ،
فتنتظر بصبر وثبات . كان يحدثها عن الطبيعة الغائنة
التي تستهوى النفس وتسحر الفؤاد ، شأن كل ما في
الشرق ، وعن أولئك الجزائريين الذين عشقهم
الشمس ففعمرتهم بفيض من قبلها اللاذعة ، وتركت
آثار تلك القبل على الوجوه ... وكان يحدثها عن
تلك المساجد ذات المآذن التي تناجي الله ليل نهار ،
وتلك المحاريب التي رُصمت بالجوهر وازينت
بالفسيفساء ، وتلك الصحراء التي غمرها النور
فراحت تبسم وتضحك ... وكان يحدثها أيضاً عن
التلاع التي رأوها ، والجبال التي صدوا فيها ،
أو يذكر لها ما رآه في نلمسان القائمة بين غابات
الزيتون ، وفي قسطنطين ذات الأبنية العتيقة التي
شُيّدت في عالم قديم قد ابتلعه المدم

كانت تغني أنشودة أخذتها عن أمها برقة وحنان
وترنو إلى السماء الصافية صفاء الأمل الباسم ، وتنتظر
إلى سفير الأشجار الميمتر على حفاقي الطريق ...
وتصفي إلى الذكرى تهمس في أذنها حديث الماضي
إذ رحل زوجها إلى الجزائر ليرفع فيها العلم الفرنسي
الجليل ، ويقهر أبناء الشمس الجبابرة الأشداء

وأغرقت في صمت عميق ملؤه الغموض والحيرة
ثم راحت تناجي نفسها وتقول : « عجبت أشد
المجب لمن يزعم أن الحياة هي منبع الألم ومصدر
الأمسى ... ألا ينظرون إلينا كيف نعيش في رخاء
من العيش راضين مقتبطين لا يعرف الشجو إلينا
سبيلاً ؟ أو لأولئك الذين يجيئون حياة تموج بالنعيم
وتشرق بالبشر ... لا يفقهون للشقاء أو الحزن
معنى ... أما لقيت برنارد بعد أن ابتلع اليم أبي ،
وماتت أي حزناً عليه ، فأحبيته وأحبنى ، والنقت
أحلامه بأحلامي ، وتمنينا على الأمانى ثم زفت إليه ؟
كنت أتمنى أن تكون لي دار إليها آوى ،
وزوج أفضى إليه بمديث قلبي ، وطفل أدخل
السرور بمرآه لنفسي .. فرزقت الزوج ، وشُيّدت
الدار ، وجاء الطفل وابتسمت لنا الحياة ... »
وأرسلت زفرة عميقة وهي تقول : « ساء

ما يزعمون »

كانت جورجيت تحس السعادة وتشعر بالغبطة

وكانت جورجيت تمشق الشرق وترهبه ...
 كانت تمسقه لأنه كان مسرحاً لأروع الحوادث
 وأعظم الغامرات ، لأن فيه تلك الحداثق السجورة
 كما يقولون ، وتلك القصور الفاتنة التي تخرج فيها
 نغمات الناي بأهات الحب وأقاصيص الحرب ...
 ثم لأنه سيكون سيباً في نجاح زوجها وطريقاً إلى
 مبتغاه . وكانت ترهبه لأن فيه قوماً مغاوير يبتلمون
 الجن ولا يخافون ... فكان يساور نفسها قلق مالح
 وشك عميق ، ويستولى عليها من آن لآخر الخوف
 والدعر فتعنى رجوع زوجها ، لتعيش في كنفه ،
 وتتمتع به ، وتحيا بقربه حياة آمنة ناعمة براحة
 وسكون ...

— يا سيدتى ، ياسيدتى ، لك رسالة من الجزائر
 فهبت جورجيت يغتر ثمرها عن ابتسامه حلوة
 ترقص حولها التي واندفقت نحو الباب ، ونفسها
 تطفر من الفرح وتزود من النشوة ، لأنها ستسمع
 اليوم حديثاً عديداً ممتماً ... وجاء ساعي البريد يقدم
 رسالة ختمت بالشمع الأسود ، فتراجعت وهي تقول :
 — ليست لى ... ليس هذا خطه ... إنه خط
 طفل حديث عهد بالكتابة ...

قالت إحدى صواحبها :

— خذها يا ابنتى فإنها لك . من يدري ...
 ربما أصبح برنارد قائداً ... ربما أنعم عليه بوسام
 الصليب ... ربما ظهر جنودنا على أولئك الشرقيين
 وخذلهم ، خذها يا ابنتى !

— آه ! ليمود إلى ، تلك أميتى يا أختاه ...
 وأخذت جورجيت الرسالة بيد مرهفة ، وقلب
 خافق ، وعادت إلى غرفتها فإذا بوايدها يمتطى
 حصاناً من الخشب وبقول :

— أماء ! أماء ! ألا تذهبن إلى الجزائر ...

فنفشى وجهها الميوس ، ثم مزقت الغلاف قلقة
 مرتابة وقرأت :

« سيدتى ... »

أنا لا أعرفك ... بل أعرفك كثيراً ، لأن
 صديقى برنارد كان يحدثنى عنك أحياناً ... أوأه
 ياسيدتى إن الحرب لمصيبة كبرى ... إنهم يرسلوننا
 لنفتح البلاد ونؤدب العصاة ، ويقدموننا للموت .
 ما أتمسنا ! من يفكر بنا نحن الذين ندفع دماءنا
 ثمناً للنصر ... من يردد أسماءنا أو يذرف الدمع
 من أجلنا إن غيبتنا رمال هذه الصحراء المرهبة ؟
 ومن يرسل الآهات إن أطفئت شعلة حياتنا على
 هذه السرر الخشبية التي شهدت مصرع الألوف
 قبلنا ... ؟ »

فاستوحش قلب جورجيت ، وانقبض صدرها
 وقالت :

— لكن .. لكن أنا لا أفهم عنه ما يريد ..
 وقامت القراءة

« ما أدري ياسيدتى كيف أكتب إليك .. وما
 أدري كيف أخبرك بما وقع لزوجك .. ولكننى
 أقسمت أمامه لأخبرك ... إصغ إلى ياسيدتى : فى
 موقعة قامت بيننا وبين هؤلاء الجزائر بين ، وقع برنارد
 جريحاً يترسب فى دمه . فاضمدت جراحه ، ولكننه
 بقى متألماً أشد الألم . لا يأكل إلا قليلاً ، ولا يتنام
 إلا لماماً ، وكان يهكر بك ويحدثنى عنك . فأرسله
 قائداً الأعلى ليعيش تحت الخيام ، ويستجم من العناء
 ولكن وآسفاه لقد أصابته الحمى .. الحمى التيفيه
 التى لا ترحم أحداً هنا . فصبراً ياسيدتى ، عيشى
 لطفلك الصغير وأفيضى عليه حنانك ورحمتك ،
 وتمهديه بمطعمك ورعايتك فهو خير عزاء لك .. إن
 برنارد قد مات .

هوزيف ر ...

ألا تخاف مني؟ أما جورجيت ... ماتت ... هه ...
 سأحطم كل شيء من أجله . خذوا ... انظروا
 أيها السادة ... أما قوية ... خذوا ... وانظروا ...
 وراحت جورجيت ترسل أصواتاً حزينة
 تكوار الثيران ... وأخذت تطوف بالفرقة تهدي
 وتصرخ ، ثم عمدت إلى المنضدة فخطمتها ، وإلى
 الكتب فزقتها ... وأشمت النار في الأثاث ...
 والتف حولها نسوة حاولن أن يهدن من اضطرابها
 فما استطعن ، فبكين لبكائها ... ورثين لها . ثم
 أمسكت طفلها ودمت به الأرض فشج رأسه ؛
 وهبطت إلى الشارع تبكي وتضحك وتنادي . الانتقام
 الانتقام . وهكذا سلب عقولها ، وأصبحت ما بعارةها
 الجنون إلا ساعة في النهار أو بعض ساعة ،
 تقضيها في البكاء أو الصمت ... فإذا ما عاد إليها
 جنونها قامت تنفث وتضحك ... وتكلم الهواء
 وتستصرخ المارة وتتوعد بالانتقام .

ما أدري كيف انتهى بها الطواف إلى الجزائر
 وما أدري كيف استطاعت ذلك ... وأكبر ظني أن
 سفينة أوصلها رحمة بها وشفقة عليها . ولقد حدث
 من رآها بأنها مذ وطئت أرض الجزائر عولت على
 الانتقام من أهلها . وكانت ترود ما أفر من الأماكن
 وأوحش من الجمال ، وتتوغل في الصحراء ، وهي
 تنوح وتبكي ، أو تسب وتشم . ولقد حاول نفر
 من بني جنسها أن يكلمها فما استطاع وأراد إرجاعها
 فأخفق . رأوها بعد أيام عادية نحو جوف الصحراء
 وقد تمزق ثوبها وعريت أقدامها ، وانتصب شعر
 رأسها ، وهي تضحك لمن تراه وتقول : إنه يناديني
 ألا تسمعون؟ فأرجعت بعد ذلك اليوم وما رأوها أبداً
 مسكينة ! لقد غيبتها رمال الصحراء !

صدمع السبب المنهدم

فشدهت جورجيت ، وجحظت عينها ونادت :
 — مات .. مات .. ؟ كلا من المستحيل ..
 أيموت برنارد وهو في نضارة الصبي وبكرة الشباب ؟
 أيموت وقد كان قوى الأيمان بالحياة ، عظيم الأمل
 بالسعادة ؟ .. أنا لا أصدق .. إن هذا إلا كذب
 ومين .. !
 وراحت تبكي بكاء محزناً تنفطر له القلوب ، ثم
 نظرت إلى أسفل الصفحة فإذا فيها كلمات مرتمشة
 عليها علامات قطرات من الدمع . فقرأت :
 « عزيزتي جورجيت ! لقد حسم القضاء .. انتهى
 كل شيء ! آه ! لن أراك يا عزيزتي أبداً ، ولن تراهي ..
 أنا أموت ... وداعاً جورجيت ... وداعاً طفلي ..
 وداعاً .. أيها الأحباء .. ! » برنارد ...
 وتفجر الدمع من عينها .. وراحت تلطم الوجه
 وتمول ، وتنادي وتصرخ ثم تبكى وتقول :
 — أوآه ! أوآه .. هاهي ذى النواقبس ترن ،
 فيملاً الفضاء رنينها ، تملن أن غداً يوم الأموات !
 أوآه ! إن المقابر ستكون غداً مليئة بالناس ،
 يحملون طاقات الورد وعناقيد الزهر ، لينثروها فوق
 القبور ، ويذكروا الأهل والأحباب !
 أما برنارد ، فواحسرتاه .. إنه ينام هناك ..
 في الصحراء .. في ظلال النخيل .. وحيداً لاصديق
 بجانبه ولا حبيب !
 أوآه ! إنه لصعب أن يذهب المرء وحيداً إلى
 عالم مجهول !
 أصبح أن برنارد قد مات ؟ هه ... أهكذا
 قضى علينا نحن ... أن نعيش في الظلمة ... بصمت
 وسكون ... ما نكاد نتذوق طعم الهناء حتى نرزا ،
 أو نعرف معنى السرور حتى نصاب ؟
 لكن ... كيف يموت برنارد ... ؟ كلا إنه
 لم يموت ... ! أنا أعلم ذلك ... أنخونني الحياة ... ؟

التي أصبحت مبعداً للذكرى ووحياً
لشعر حى رفيع

هو الحب أيها الأصدقاء الذي
سيلعب دوراً كبيراً في قصتي . ولعل
أحدكم منكم لم يسأم بمد الحديث عن
الحب ، إن كان منكم الشباب فإن

قلوبكم عاصرة به ، وإن كان منكم الشيوخ فإن القلوب
فتية لا تهرم

فاسمعوا ، اسمعوا أيها الأصدقاء ... انظروا إلى
ذلك الشاب الذي جلس أمام مكتبه بعد منتصف
الليل كما أجلس أنا الآن تماماً . إنه يزج الكتب
المبعثرة أمامه ويفسح ما بينها مكاناً يتسع لورقة
ليكتب فيها خطاباً

إنه قد مل هذه الكتب التي أمامه . هذا
كتاب في القانون المدني وآخر في القانون الجنائي
وهذا في اللغة اللاتينية ، وهذا في الشريعة ، وهذه
قصة لأحد الكتاب الكبار المحدثين ، وهذا معجم
وهذا ... وهذا ... أشياء لا تعد لها ، كلها قد سُم
منها ، فانهطف يتلوه بكتابة خطاب إلى ماجدة قال فيه :

— أحقاً أنت سميدة يا ماجدة بزواجك من
الدكتور ؟ لعله عاجل جراحك التي طالما حدثتني عنها
أن مقرها في قلبك أليس كذلك ... ؟ بربك قولي : لا .
قولي إنك لا زلت تذكريني ، وأنت لا زلت
تفكرين في ، وإن هذه التماسة ما هي إلا من
معاكسات الأيام وسوف يكون قلبك لقلبك وروحي
لروحك ، ولو أن الأجسام بعيدة

سمعتك تقولين في حيرة وابتسام لم أفهم ماذا يعني
وراءها : « لم لا يا أحمد ؟ أنا على واجب ، وما
حصل إنما هو فعل القدر ، ويجب أن تكون عاقلاً . »

الْحَاكِسُ وَقَطْعَةُ النِّقْدِ

للأديب مصطفى صبيحي

هي قصة سمعتها من صديق منذ سنوات ثلاث
بقيت في نفسي طول هذه المدة . وقد حاولت أن
أكتبها قبل ذلك ، ولكنني كنت دائماً أؤجل
كتابتها إلى وقت أكون فيه صافي النفس صريح
الفكر حتى لا تخرج الفكرة مضطربة ، وحتى
أستطيع تحليل كل مواقفها بدقة . وكنت كلما
عاودتني ذكرى حوادثها وحاولت أن أمسك
القلم ينحدر بي التفكير إلى نواح أخرى من الحياة
فاذا أنا تائه في الخيال ، وإذا العواطف تجيش
والمشاعر تخرج ، وإذا العقل يزدحم بالأفكار ، وإذا
القلم يسقط فأذهب في ملل وصدوف ... ملل من
كثرة التفكير ، وصدوف عن الحياة المتشابكة
الزدهمة بكل شيء ، بالأفكار وبالأناس وباللادة التي
تتدفق وتسخر من الناس والناس بمبدونها
وبطاطون لها الرؤوس

قال لي صديقي إن الفصة حقيقية وأكدي
ذلك . وكنت قد ظننت أنها قصة خيالية اختلقها
قصاص ماهر ، ولم تقع حوادثها فعلا في الحياة ،
إلا أن وجودها في ذاكرتي كل هذه المدة جعلني
أصدق أنها حقيقية وأنصوّر أنني عرفت أشخاصها
واحداً واحداً من مدة طويلة وشهدت كل ما حدث
لهم ، وعرفت الأمكنة التي وقعت بها حوادثها حتى
ليخيل إلي أنني أستطيع أن أزور هذه الأمكنة

« كثيرا ما رجعت إلى نفسي أحاول أن أوحى إليها أنني أستطيع أن أعيش بدونك وأن أنساك إلى الأبد ، وكم أكون سعيدا لو استطعت ، إلا أنني لا أستطيع يا ماجدة أبدا . كما أنني لا أنسى هذه الفترة التمسة من حياتي ، فترة الخيبة والضعف . الضعف إلى درجة أنني لم أستطع أن أغير شيئا وأنا أرى الدكتور عبد المجيد يتقدم طالبا يدك ، فيغري أباك ، فيقبل هذا أن يبببك إليه مفترا بمركزه وماله ، ذلك الطبيب المرديد الجبان ؛ وأنت لم تستطعي مطلقا أن تنبسي بينت شفة ، ولم تستطعي أن تحركي ساكنا ، فقدموك إليه جسما إلى جسم لا قلبا إلى قلب . »

شمر أحمد بضيق في تنفسه فسمعل سمالا حادا خفت وطأنه شيئا فشيئا وظهر على عينيه أثر من الدمع فأخرج منديله ومسح به أجفانه وجبهته . وظل هادئا فترة قصيرة من الزمن . فظهر في السكون صوت حركة خفيفة أعقبها صوت والدته تقول في نغمة متمبة وسنى :

« قم يا أحمد إلى فراشك . بكفيك هذا السهر يا بني . قم هداك الله واستببق المذاكرة حتى الصباح فالنهار طويل »

صرت فترة سكون طويلة ولم يرد أحمد بكامة . وبقي صامتا ينظر إلى حجرة النوم المجاورة ، فمادت أمه تناديه : أحمد . أحمد . . وكان الصوت يتردد في الردهة فيرجع صدها وعلا المكان روعة ورهبة . فرد أحمد بصوت ممثلي فيه رنة الاستياء :

— ناي أنت يا أماء . دعيني أقرأ قليلا فأنا لا أستطيع القراءة إلا في الليل . إني أنام أكثر النهار فنأى أنت واستريحي

ثم هربت من أمأى مسرعة لا تلوين على شيء . أفدت تغيرت بهذه السرعة ؟ كلا . . لا أظن . أنا أعلم أنك توفين الواجب حقه . أنا أفهم الموقف جيدا ، ولكني لست في كل الحالات هادئا كما أنا الآن . أنا يا ماجدة في بعض الأحيان أتور وأصخب وأحطم الدنيا بأسرها . أمزق العالم . أنا وحش عند ما أتور لأنني أخفقت في حبي ، لأن وردة حبي ازهرت لكي يقطفها الآخرون ، لكي يقطفها من ليس له قلب بيد جشمة مرتمشة كها الأثانية والمادية .

كلا يا ماجدة . لا واجب هناك . سأحطم التقاليد . سأحطم هذا الواجب الذي حدثتني عنه منذ أيام بعد زواجك . سأحطم كل شيء وسوف ترين »

كتب هذه الكلمات الأخيرة بسرعة وييد مرتمشة عصبية ، وقد هاج شعوره في هذا الصمت الشامل وكادت دموعه تظفر من عينيه عند ما رأى حالته الراهنة . حياة غير مستقرة ، ودراسة متواصلة مضنية ، وإخفاق في الحب ، وتمرد على الدنيا وعلى التقاليد والحياة والقيود الاجتماعية . ألقى القلم وسرح فكره في عالم آخر . ورجأة سرت في السكون نغمة حنون من منزل بعيد فأصغت إليها . إنها تضطرب كأنها شسجون الليل يبيديها بلا تكتم . إنها تتعالى فتتعالى بالنفس وتسمو بالقلب والمساطقة والحب ، وتمبر عن ممان أخرى لا يعبر عنها بالألفاظ ، فهي ممان مبهمة إن عبر عنها بالكلام فسدت وقل مالها من روعة وجمال .

خفت الصوت وتلاشي في الفضاء ، وبقي أحمد ساها يردد في ذاكرته النغمة الحنون ، فهدأت نفسه ونظر إلى الورقة التي أمامه وعاد إلى القلم وكتب :

— وهل يمجيك أني أظل قلقة هكذا طول الليل؟ أما لن أستريح إلا إذا نمت . قم يا بني أراح الله قلبك

فأطاع أحمد رغبة والدته ورد عليها باستياء :
« هأنذا قمت »

وقام وأدار زر الكهرياء فساد ظلام ولم يبق إلا نور ضئيل منبث من مصباح صغير في الردهة .
وذهب إلى فراشه ونام

ظل يفكر — وهو مضطجع على ظهره — فيما قالته له والدته . وفكر في حنانها وفي الحشونة التي قابلها بها وندم . وقال في نفسه : إن حنان هذه الوالدة المسكينة كثيراً ما يسبب له شقاء وقلقاً . فهي لا يهدأ لها بال ما دام سهران ، ولا يمكن أن تنام أو تستقر على حال إذا كان خارج المنزل ، أو إذا تأخر عن ميعاده ساعة . وهو يتألم من ذلك ؛ وكثيراً ما يشور قهدي هي من ثورته وترجمه إلى نفسه وتحاول إفهامه ما تمنيه من الثعب إذا غاب عنها لحظة قائلة : « يا بني أنت لا تعرف ما هو قلب الأم » ثم تعقب على ذلك بأمثلة عابية لها موسيقية لذيذة صادرة عن براءة وصدق

تذكر قولها « قم يا بني أراح الله قلبك » وقال في نفسه : هل يمكن أن يجاب هذا الدعاء وأين لقلبه أن يستقر؟ إنه لا أمل له في الحياة بعد ذلك ، لقد فقد كل شيء في هذه الدنيا

قضاه ليلة كباق الليالي كلها أحلام متقطعة لا معنى لها . وقام في الصباح وكان أول شيء فكر فيه هو حادث زواج ماجدة من الدكتور عبدالمجيد ، ماجدة التي تعبه ... ماجدة التي عاهدته على ألا

تكون لغيره وأن تخلص له مدي الحياة . وقف بجانب فراشه واتكأ على حافته ووضع يده تحت ذقنه وراح يفكر . ما قيمة الحياة؟ إن كل هؤلاء الناس ليسوا سوى أشباح قصيرة العمر تروح وتجيء ولا تعرف إلى أين الصير . تحركها المواطن ثم تندثر في النهاية كأنها ما كانت ، فيستوى الطيب والشيرير والجليل والقييح والمحب والجامد القلب . وما هو الحب ...؟ ولماذا لا يكون طوع إرادة الانسان إذا أراد كرهه، وإذا أراد بدلاً حبيباً بحبيب؟ وما هو الوفاء ...؟ إن كل هذه الألفاظ أصبحت لا معنى لها . ألفاظ جوفاء خاوية لا تحوى وراءها إلا الرياء والكذب والمخاتلة

حاول أحمد أن يطرد هذه الأفكار من رأسه فشى بكسل إلى مكتبه فوجد الخطاب الذي كتبه بالأمس ماني عليه كما كان . فتناوله ومزقه يبطاء ، وألقاه بدون اكتراث كما يلقى شيئاً بالياً ، وخرج إلى الردهة وجلس نصف جاسة على منضدة تجثم في منتصفها وتناول سيجارة وأشعلها وصار يدخن ؛ وكان فكره يجول مع الدخان المتصاعد فوق رأسه وهو ينظر إليه شاردأ ، ونجاة سقطت السيجارة من يده على ردهته فأخذها بسرعة دون أن تحرقه وصار ينظر إلى ثوبه ويثبت فيه النظر ثم أشار بيده إشارة استهتار وقال في نفسه إن هذه القيود التي في هذه الدنيا ليس لها أي معنى . يجب أن يتحلل منها . يجب أن يصل إلى الحرية والحق والمدل

وسبح فكره بعد ذلك في الماضي البعيد ، وصرت على ذاكرته كل أدوار حياته منذ أن كان طفلاً يسكن مع والده في حي محرم بك في الإسكندرية

في هذه الدنيا؟ مات أبوه وكان تاجراً من تجار الثمر ولم يكن هناك أحد يحمل محله في تجارته، وكان أحمد إذ ذاك في الرابعة عشرة وكان لا يزال طالباً فلم يستطع أن يقوم مقام أبيه

كان والده يحبه فقد كان أمه الوحيد في حياته. مات وهو يباركه ويدعوه له، وكانت آخر كلمة قالها وهو على فراش الموت «جعلك الله يا بني سميداً في الدنيا والآخرة»

تراجعت هذه الذكريات في رأس أحمد وهو متكى على المنضدة وجمل يقرأ في سره الفاتحة لأبيه وقال في نهايتها «يا رب ارحمني وتقبل دعاء أبي واجعلني من السعداء»

ترى أيستجيب الله هذا الدعاء؟ أجل إنه رحمن رحيم. ولكن كيف يسعد وماجدة الآن أصبحت لغيره؟ أراها تغيرت عليه بمد أن مات والده فلم تمد تحبه؟ لقد نقل والدها إلى وظيفة أرق من وظيفته في وزارة الداخلية بالقاهرة، وبمدت ماجدة عنه فترة من الزمن، إلا أنها كانت تأتي مع والدها لتقضي فصل الصيف في الإسكندرية، ولم يلاحظ عليها إذ ذاك أي تغير في عواطفها

كانت هي عزاءه الجميل. وإن نسي فلن ينسى تلك الأيام التي كان يقضها معها في أيام الصيف على شاطئ «جليم» وقد أصبحا شابين اكتمل عقلاهما ونسوا نزع الطفولة ورعوتها. لقد كانت هي كل شيء لديه. امتلأ قلبه بحبها حتى لم يبق به فراغ لأي شيء آخر في الوجود. وقد آمن بهذا الحب وثبت إيمانه بقلبه فما عاد يصدق أن ذلك الحب سيخبو وتبرد شماته، وما كان يصدق أنها ستكون في يوم من الأيام لأحد غيره

بجوار منزل محمود عاصم بك والده ماجدة - وكان إذ ذاك أحد كبار موظفي مصلحة الجمارك - لقد كانت أياماً سعيدة تلك الأيام التي قضتها في تلك البقعة المقدسة... أيام الطفولة المرحية. أين هي! لقد ولت كأنها حلم جميل من أحلام الملائكة. أين تلك الأيام الجميلة المرحية حينما كان يلعب هو وماجدة وباقي الأطفال في حديقة منزل والده، أو حينما كان يغمض عينيه ويجري ليلبحث عنها بين أركان الحديقة وزواياها، أو حينما كانا يذهبان معاً لشراء الحلوى من السوق الذي كان خاف محطة الإسكندرية القديمة - تلك الحلوى التي كانت ماجدة تحبها كثيراً لدرجة أنها أحدثت نكالا في أسنانها زاداها حلوة وملاحة وجمل في كلامها لثغة جميلة محببة، أو حينما كانا يلتقيان أسنانهما القديمة إلى الشمس لكي تثبت بدلها أسنان من الذهب. إنه لا يزال يذكر تلك الأيام السعيدة الجميلة ويذكر ولعه باللعب معها في أيام الشتاء، فقد كانا يقفان تحت شجرة من أشجار الحديقة ينصتان إلى زقزقة العصفير وينتظران نزول المطر، فيجريان حينئذ في أنحاء الحديقة في فرحة وابتهاج ويجري وراءهما البواب المعجوز وبجماهما إلى داخل المنزل والياه تنساقط من شعرهما ووجنتيهما وملابسهما على الأبسطة وهما فرحان بهذه المخاطرة المرحية الجميلة ولما شاهدا من مناظر الشتاء البديعة الساحرة

ذهبت هذه الأيام وكأنها كانت نفمة حلوة هادئة لم يمكر صفوها شيء، ولكنها الآن أصبحت ذكري، إلا أنها ذكرى تثير الأمل وتبث الآلام. أين أبوه وأين ثروته التي ضاعت ولم يبق منها إلا ما يكفي لسد نفقاته هو ووالده التي بقيت له

جد واجتهد حتى نال شهادة الدراسة الثانوية ،
وسافر هو ووالديه إلى القاهرة واستأجرا منزلاً
الذي يقطنان به الآن والتحق بكلية الحقوق ،
وكانت ماجدة طالبة في كلية الطب . وكم كان سعيداً
لوجوده معها في بلد واحد ، وكم كانت جميلة هذه
الأيام التي قضاها معها في القاهرة لولا ذلك الدكتور
الذي ظهر لها فجأة واختطفها منه

لقد كان أبوها رجلاً لا يعرف معنى العاطفة ،
وكان قاسياً شديداً على ابنته فلم تستطع أن ترفض
هذا الزواج أو أن تنطق بكلمة واحدة . وكان أحمد
قد ذهب إليه عند ما علم بالخطبة وطلب منه يد ماجدة
رغم أنه لا يزال طالباً ورغم أنه فقير لا يملك شيئاً ،
فرفض طلبه وردده والأسى يكاد يفتك به والياس
يكاد يقتله

هكذا كان القدر ، وماذا يفعل إذن ؟

عيناً حاول أحمد أن يوقف تيار هذا التفكير ،
فقام وأدار الراديو وكان اليوم يوم جمعة فسمع صوت
القاري يرتل قوله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة
الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض
فأصبح هشياً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء
مقتدراً) وكان صوت القاري عذياً جميلاً وكان
يرتل هذه الآيات بإيمان وإخلاص أترا في نفس
أحمد . فمقب على قول القاري بصوت ملي بالخشوع
والإيمان « صدق الله العظيم » واستمر ينصت إلى
آيات القرآن الكريم فوجد فيها عزاء عظيماً وذهبت
عنه بعض أحزانه وأتى موعد الصلاة فقام وتوضأ
وذهب إلى المسجد ليصلي

وقف الخطيب على المنبر وصار يخطب في الناس

بصوته المتماثل النفثات والناس يسمعون كلماته في
صمت وخضوع . وكان أحمد ينصت إليه بانتباه
كأنه منشوق لسماع شيء جديد هو في حاجة إلى
سماعه ، ورن في أذنه صوت الخطيب وهو يقول :
(يا أيها الناس لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق .
وإياكم والزنا فإنه جرم لو تملون عظيم)

وفي هذه اللحظة التي كان أحمد ينصت فيها إلى
بقية الخطبة كان الدكتور عبد المجيد جالساً في منزله
على مقعد كبير مكسو بالجلد في ردهة مفروشة بأثاث
هو على بساطته آية في الأناقة وحسن الترتيب ،
فدخلت ماجدة من باب مقابل فنظر إليها طويلاً
نظرة عطف يداخها شيء من الشك ولكنه مستور
وراء حجاب من المكر
وبادرها بقوله :

— مالك يا ماجدة ؟

— لا شيء

— إياك أن تكوني متكدرة لأننا لم نساfer

لقضاء شهر العسل في بلد بعيد . إذا كان الأمر
كذلك فانك جد مخطئة ، فأنا عازم على تقديم
مفاجأة مذهلة جداً لك (وضحك ثم مد لها يديه
وقال) لك أنت يا حبيبتى يا أعز مخلوق لدي (واقترب
منها وهو يقول) كنت عازماً على ألا أروح لك
بهذه المفاجأة ، ولكن ما دمت متكدرة فسأقولها
لك الآن (وضمها إلى صدره وقبلها) إننا سنذهب
عندما يأتي شهر مايو إلى سويسرا رأساً لنقضي فيها
شهر العسل ثم نرجع في طريقنا إلى فرنسا وإيطاليا
واليونان . وربما ذهبنا إلى لبنان حيث نفود بالطائرة
فهل أنت مسرورة من هذه الرحلة ؟

— أنا لست متكدرة أبداً وحتى إذا كنت

وما جدة في هناة وسعادة؟ ماذا يفعل إذا هزه الشوق لرؤيتها والتحدث إليها وسماع صوتها العذب؟ أيتسلل مثل اللصوص إلى منزلها ليظفر منها بابتسامة أو كلمة؟ أم يقتحم منزلها ليلا ويختطفها ويذهب إلى حيث لا يعلم إلا الله؟ أى خيال مضحك ذلك الذى يداعب أفكاره وهو مضطجع على فراشه وقت الظهيرة بعد الصلاة؟ إن هذه الحياة كانت ممكنة في العصور الوسطى حين كانت القوضى ضاربة في الأرض، وحين كانت قوة الانسان ممثلة في الفرد، فهو وحده كان أمة، وكل الدنيا كانت وطنه له يضرب فيه أين شاء وأنى يشاء. وهو قد يدير على اجتلاب الرزق في كل وقت وفي أى مكان.. لقد أصبحت الأفكار والأخيلة تسخر من عقل أحمد وتجميل منه العوبة. والحق أن الصدمة كانت قوية عليه وهو لا يزال في سن صغيرة ووراء أمه المسكينة وأمامه مستقبلا فسا كان هناك شيء يستطيع أن يتلهم به سوى الخيالات المضحكة والأمانى الكذاب.

مرت الأيام متشابهة مملولة، وكان أحمد يقضى معظم أوقاته في مقهى مواجه لمنزل الدكتور عبد المجيد. ولحقه الدكتور سارارا وهو يحوم حول المنزل. والحقبة أن أحمد لم يقابل ماجدة بعد زواجها إلا مرة واحدة حين وجدها مصادفة خارجة من منزل إحدى صويحبائها.

وقد وجد أحمد في يوم من الأيام أن الفرصة سانحة لرؤية ماجدة فعادته قدماء بدون تفكير وصعد إلى المنزل ودق الجرس، وكان قلبه يخفق بشدة، وكل عضو من أعضائه جسمه ينتفض، وفتحت ماجدة الباب بنفسها فدخل بدون استئذان وأغلق الباب

(٧)

متكدرة فانا لا أتكدر من شيء مثل هذا، فأنت لديك أعمالك، وليس من الضروري أن تتركها في هذا الوقت، فدع هذه الرحلة لفرصة أخرى فالفرص أماننا كثيرة نساخر فيها إلى أي جهة نشاء. وليس من الضروري أن نساخر إلى الخارج. وهل رأينا بلادنا حتى نذهب لتتزه في الخارج؟

— هكذا أريدك دائما. بالله رضى عن نفسك

قليلًا... إنحكى والله

فقبلها بين عينها وفي وجنتها بشرف وهو

يقول: أنت ملاك يا ماجدة.. أنت ملاك

عاد أحمد بعد أداء فريضة الجمعة إلى المنزل وهو لا يزال يفكر في حالته. إنه يكاد يجن، إنه يطلب من الله في ضراعة أن يريجه من هذا العذاب وأن ينزع من قلبه حب ماجدة فلا يفكر فيها بعد ذلك ولا في زوجها الذى يمقته من كل قلبه ويود لو يسحقه سحقاً

أيدى إليه في عبادته ويرديه قتيلا على سراى من سره؟ أم يذهب إليه في منزله ويقتله هو وما جدة في ساعة يكونان فيها غارقين في بحر من السعادة والحب؟ وأبوها ذلك الرجل القاسى؟ إنه يحتفره ولا يريد أن يراه، إنه يود لو يفتك به هو أيضاً.

واسكن هاهى ذى كلمة الخطيب ترن في أذنه: (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) إذن ماذا يفعل؟ إنه إذا لم يصنع شيئاً فهو قاتل نفسه لا محالة دون أن يشعر. إنه يذبحر ببطء.

كيف يستطيع أن يصبر على هذا الشقاء؟ وكيف يتحمل هذا بعد هذه السنين التى قضاه هو

ووقفت ماجدة أمامه مبهوطة جازعة وقالت :

— أحمد! لماذا أتيت ؟

— لم أستطع أن أحمل أكثر من ذلك

يا ماجدة . سأجن

فلسكت ماجدة عواطفها وقالت له بلهجة حاسمة :

— أرجو يا أحمد أن تعود من حيث أتيت

فليس هذا مكانك

فبدأ التآثر على وجهه وقال غاضباً :

— أنتظر ديني يا ماجدة من منزلك ، ذاك الذي

كان يجب أن يكون منزلي ... آه ... إنك غافلة .

أنا حضرت الآن لآخذك بالقوة ، وإذا مانمت

فسأقتلك وأقتل الدكتور عبد المجيد

فقلت ماجدة منغملة : أحمد! أرجو أن

تتركني للأقدار . . وخارت قواها فارتجت على أحد

المقاعد وأجهشت بالبكاء وهي تقول : إنني أتعذب

يا أحمد ... إني أتعذب ...

فاقترب منها أحمد وقد أثار هذا المنظر أعمق

عاطفة في نفسه ، وحركت دموعها اللهيمرة في صرارة

وأسمى كل أشجان قلبه ، ولكنه ملك زمام نفسه

وذهب إليها وجلس بجانبها وقال :

— ماجدة ... أتبيكين ... لا ، قومي فأنا ذاهب .

لن تربني بعد الآن . لقد كنت مجنوناً . أما

كنت أريد أن أراك . كنت أود أن أسمع صوتك .

صحيح أنك الآن لست لي

وهم أحمد بالخروج فأمسكت به ماجدة ونظرت

إليه نظرة حيرة وتوسل ، فدفع يدها ببطء وقال لها :

— دعيني أذهب ، فلست أما أحمد القديم .

لقد أصبحت تمييز زوجك حتى الجنون . دعيني

فانتفضت ماجدة وكأنا أعادت هذه الكلمات

ذكرياتها القديمة ، وقالت له والدموع لا تزال تجول

في عينيها :

— إرحمني يا أحمد . إرحمني . ماذا يمكنني أن

أفعل ؟ إنني إذا خنت زوجي فلن أسلم من ضميري

وإنني الآن صابرة على حكم القدر . آه ياربى . ياليتني

كنت مت

فنظر إليها فجأة وقال لها في ثبات وعزيمة :

— اسمي ، هيا نهرب

— إلى أين ؟

— إلى حيث يشاء الله

— ووالدتك لمن تتركها ؟ إنها تموت من

أجلك . وأبى ماذا يكون موقفه أمام الناس ؟ لا لا

يا أحمد كن عاقلاً

— إذن سأذهب ولن تربني بعد الآن

فعاد اليأس والحزن يرسمان على وجنتيها صورة

رائمة من الدموع ثم قالت له :

— تعال يا أحمد ، ولكن لا تدع أحداً يراك

كانت مخاطرة شائكة تلك التي أقدمت عليها

ماجدة ، وقد ظل أحمد يزورها في منزلها في غياب

زوجها ، وإن هذا اللقاء وإن كان قد أحاطته العفة

في مبدئه إلا أنه قرب الجريمة إلى نفسيهما شيئاً

فشيئاً ، فالإنسان مهما وبلغت نفسه من القوة والسمو

فانه يصل أحياناً إلى درجة من ضعف الإرادة

يستوى فيها مع الحيوان

إن هذا هو رأيي . ولست أدري إلى أي درجة

وصل إليها أحمد هو وماجدة أثناء تلاقيهما في بيت

الزوجية ؟ إنني أعرف أن أحمد كان شاباً مهذباً ولو

أنه كان طائشاً إلى حد ما ، وأن ماجدة كانت فتاة

فقام أحمد ووقف أمامه وجهاً لوجه ، وصرخت ماجدة لما رأت زوجها وجثت باكية تحت قدميه تطلب منه الصنح ، فركلها بقدمه ، وأخذ ينظر إلى وجهه غريبه بقسوة ، وجعل يتفرس في وجهه ، وقال وهو يرتعد :

« آه يا سافل ... آه يا جبان ! » وهجم عليه وأمسك بمنقه ، واشتبك الرجلان في عراك عنيف وكان أحمد قوى الجسم فاستطاع أن يقات من قبضة خصمه ويلقيه على الأرض ووقف ينظر إليه وهو يلهث في غضب واهتياج ، وقام الدكتور وأخرج من جيبه مسدساً وسدده إليه وقال :

— إني سأقتلك يا سافل يا وغد . وحاول أن أن يضط على الزناد ولكنه كان مفلتاً . وفي هذه اللحظة لمح زوجته ملقاة على الأرض وقد أغشى عليها من هول الموقف ، فقال : « إنها هي التي تستحق القتل » . ثم عاد إلى نفسه وقال : « ولكن هذا فظيع ... إسمع يا هذا ، لقد وهبتك الحياة . إنك تجبها وهي تحبك ... هذا حسن » فأفادت ماجدة وقالت بصوت مذبوح : ساعني يا عبد المجيد لقد أخطأت ! فوضع المسدس في جيبه وذهب إلى الباب وأغلقه وأنهض ماجدة وأجلسها إلى المائدة التي أعدتها وأمر أحد بالجلوس أمامها وسكب الخمر في كأسيهما وقال لهما وهو يضحك ضحكة قاسية :

— إشربا نخب هذه الليلة السوداء

فامتنما عن الشراب فأخرج مسدسه وصاح بهما بصوت هائل والشرر يتطاير من عينيه :

— إشرب ... إشرب ...

فشربا . فانفجرت أسارير وجهه وصار يشرب هو كذلك كأساً بعد كأس حتى أتى على ما في

رقيقة الاحساس ذات ضمير حي وأخلاق عالية لقد داخل الدكتور عبيد المجيد الشك في زوجته ، وظن بها ظن السوء خصوصاً وقد علم ما كان بينها وبين أحمد من علاقة سابقة ، وإلا فما هذا الجلود الذي يلاحظه عليها ؟ وما هذه المعاملة الجافة التي يلقاها منها في بعض الأحيان ولم تمض مدة طويلة على زواجهما ؟

على أنه قد دهش حينما وجد زوجته قد تغيرت فجأة وصارت تتكاف الابتسام وتحاول أن تجعل كل معاملاتها أكثر رقة ، وأن تكون في كل حالاتها أكثر بشاشة مما كانت قبل . غير أن ذلك كان مما قوى الشك في نفسه فانه شخص مجرب يعرف الابتسامة المزورة من الابتسامة الحقيقية .

لقد دبت النيرة في نفسه وعزم على أمر ...

دخل المنزل متجهماً في مساء أحد الأيام وأخبر زوجته أنه مسافر إلى الاسكندرية لأمر هام وسيرجع إليها في ظهر اليوم التالي ، وخرج مسرعاً وركب سيارة وأتجه إلى محطة القاهرة

فجاء أحمد كعادته فقابلته ماجدة بفرحة غير معهودة وأخبرته بأن زوجها سافر وأنه يستطيع أن يجلس معها في جو من الحرية أكثر مما تعود . وما كادت تندمج في هذه الحرية حتى بدت لها صورة زوجها يفتح باب داره ، فارتدت إلى صوابها وتنازعتها أفكارها حتى طوى هذه الأفكار أحمد بمحيطه المذب الذي انتهى بأن أغراها بتناول كأس من الخمر معه لكي يضيما ما بهما من وساوس ويذهبا ما يملكهما من أفكار

وما كادا يمدان المدة لذلك حتى دخل الدكتور عبد المجيد ووقف بجوار الباب وعيناه تقدحان شرراً

ولكني أقول: إن تلك المتاعب تربو
على كل ما قاساه المسلمون من جميع
الدنيا من يوم أن نشأ الاسلام
إلى اليوم، فن عاصفة إلى زوبعة
إلى إعصار، حتى إذا ما استقرت
الحال وسارت السفينة في أمن
واطمئنان عادت إلى ما كانت عليه

حاجي بابا في انكلترا

تأليف جيمز موير
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل الحادي والخمسون

أتباع السفير يعودون

استبقى السفير محبوباً لحراسة الشركة وأعاد
سعيداً معنا إلى طهران . وقد ودعنا لوندرا وولينا
وجوهنا شطر طهران ، وكان طريقنا في العودة غير
شائق مثل طريقنا في المجيء ، وقد تبادلنا مع السفير
الكلمات الطيبة التي تقال في مثل هذا المقام، وصفح
كل منا عن الآخر . وعهد بنا إلى ربان الباخرة
فأصبحنا في وصايته وأصبح واجبه أن يسلطنا إلى
مندوب فارسي في الآستانة سواء أ كنا أحياء أم
جثثاً هامدة

وكان هذا الربان رجلاً ملفوح الوجه بالهواجر
كأى رجل تركاني محارب، ووجدناه غليظاً متجهماً
وكان يقدم لنا كل يوم طعاماً من اللحم والطيور،
ولكنه لم يقدم لنا شيئاً من الأرز . ومن حسن
الحظ أن المقدار الذي جئنا به من فارس لم ينقص
كثيراً فأخذنا منه جانباً وتركنا للسفير سائر

وقبل سفر الباخرة رأينا عشرين أو ثلاثين
رجلاً في يد كل منهم ورقة وقلم من الرصاص ،
وكاهم يكتبون وصف ما يشاهدونه . وقيل لنا إن
هذه مهمتهم اليومية لأنهم مخبرون للصحف
وسأجاوز عما رأيناه من المتاعب في السفينة .

فتأرجح بنا بين جبال من الأمواج

وأخيراً جاءت الساعة السميدة التي ظهرت لنا
فيها قباب المساجد ومآذنها . وكان النظر بديماً
فحمدنا الله وصلينا صلاة الشكر . وقد تجسم في
نفوسنا شعور الفرح فهممنا بالنزول إلى الشاطئ
والخلاص من السجن والسجان . ولما قابلنا مندوب
فارس ألقينا عليه ألف سؤال وسؤال عن فارس وعن
أصدقائنا وأقاربنا فيها . وكانت شكوانا مرة من ربان
السفينة . وقص عليه محمد بك كل شيء مما رآه مما
يخالف الشرع الشريف في بلاد الفرنجستان . ثم
ذهبنا إلى بيت السفير الانكليزي فسلطنا إليه ما معنا
من الرسائل المرسلة إليه . وقد وجدنا الانكليزي
الآستانة لا يستقبلوننا بمثل الحفاوة التي يستقبلنا بها
الانكليزي في بلادهم ولا بمثل الدهشة التي كانوا
يبدونها نحونا وسبب ذلك واضح وهو أننا كثير

الشبه بالأتراك وقد ألفونا

ثم استأنفنا السير إلى بلادنا

الفصل الثاني والخمسون

حاجي بابا في طهران

استأجرنا البغال وأعدنا معدات السفر، وفي
مدى أيام قلائل كنا على مقربة من حدودنا وكانت
قلوبنا تحفق سروراً، ولم يحدث في الطريق ما يستحق

الذكر . وكنا نفكر في العادات التي اعتدناها
بالتقرب وفي عادات بلادنا القديمة فنجد السي
والحسن في كليهما

وفي أثناء الطريق زرنا الباشا في أرضروم
واتضح لنا أنه لم ينسنا ولم ينس السفير . وفي تبريز
تمسحنا بأعتاب الحاكم وهو من أسراء الأسرة
المالكة ، وقد سألنا أسئلة دلتنا على أنه عين من قبل
كل الذي عيناه في أثناء الرحلة . ولا يفوتني أن
أذكر أننا قابلنا قبيلة من الأكراد على أثر خروجنا
من أرضروم فأصروا على أخذ أمتعتنا عنوة ولكن
فرقة من جنود الباشا التركي كانت تتولى حراستنا
فقاتلتهم وأجأتهم إلى الفرار

وأخيراً وصلنا إلى طهران فقابلنا أصدقاءنا
الدين كانوا في انتظارنا على أحر من الجمر ، وقد
عزمت على أن أسلك خطة من الترفع تتفق مع
المكانة التي استفدتها ، ومع المعلومات التي تلقيتها
في رحلتي الأخيرة

ذهبت توأ إلى بيت رئيس الوزارة فوجدته
قد ذهب إلى بيت الشاه فقبمته إليه وسلمته
مامي من الخطابات ووقفت منتظراً أوامرهم . وقد
تركني واقفاً أمامه عدة دقائق قبل أن يأذن لي
بالجلوس . ووجدت كثيراً من أصحابي في انتظاري
فحيوني وهنأوني وسألوني عن الحالة في بلاد الانكليز
فقال أحدهم إن النساء هناك لا ينجلن . وقال آخر
إنهم يعبدون الصليب . مما يدل على الجهل بأحوالهم
كما أن الانكليز يجهلون أحوالنا

وفي هذه الأثناء أبلغ رئيس الوزارة الشاه بخبر
قدومي فنوديت ودخلت باحترام وألقيت بين يدي
جلالته خطبة قصيرة وحرصت بقدر الامكان على
أن أجمع بين موقف الوزير الانكليزي أمام ملكه

وبين موقف الوزير الفارسي أمام الشاه
قال لي الشاه متلفحاً رداً على خطبتي : « سررت
بمودتك يا حاجي بابا »

فأحيت رأسي على طريقة الوزراء الانكليز
فقال : « مرحباً بك »
فأعدت إحناء رأسي

قال : « هل أتيت بهدايا من شاه الفرنجستان ؟ »
فقلت : « نفسي فداك يا جلالة الشاه لقد أتيت بهدايا
قدمتها لأمين القصر » ثم أخرجت من جيبى عشرين
جنيهاً من النقود الانكليزية ووضعتها على عتبة
العرش وقلت : « وهذا الذهب أضمه متفائلاً على
أعتاب عرشكم »

فابتسم الشاه وقال لرئيس الوزارة الذي كان
واقفاً بالتقرب منه : « إن حاجي بابا خادم مطيع وقديص
وجهي في بلاد الفرنجستان »

قال رئيس الوزارة : « نعم نعم يا جلالة الشاه
وحيث يوجد أتباع جلالتك نبض وجوه الفارسيين »
ثم قال لي الشاه : « صف لنا بلاد الفرنجستان »
فقلت : « هي بلاد واسعة تختلف في كل أحوالها
عن بلادنا »

قال : « وازن بينها وبين بلادنا » فقلت :
« لا وجه للموازنة يا صاحب الجلالة فهي بالقياس
إلى إيران مثلي مع ضمني بالقياس إلى جلالتم »
فالتفت الشاه إلى رئيس وزارته وقال : « لكل
بلاد محاسنها ولكن لا توجد في الواقع بلاد مثل
إيران » ثم استشهد ببيت من شعر حافظ الشيرازي
في مدح فارس . فقال رئيس الوزارة : « أين شعر
حافظ مما قلتموه جلالتم من الشعر . وهل في
العالم كله شاعر مثل مولانا فتاح على شاه ؟ »

مسحورة يستطيع الانسان بها أن يرى الجيش عن بعد عشرات الفراسخ دون أن يراه الجيش الآخر . وهي تظهر الشيء البعيد جداً كأنه على بعد أمتار قليلة . ولقد رأيت في بلاد الفرنجستان أشياء معدومة النظير »

قال : « تكلم يا بنى . ولكن إياك أن تكذب بحضرة الشاه . وإذا كذبت فلن تجدرحة في نفسى » قلت : « نفسى فداك يا صاحب الجلالة . لقد رأيت سفناً كأن الواحدة منها مدينة وهي تمشى في الزوابع والأعاصير دون أن تتأبل »

قال الشاه : « لقد حذرتك من الكذب يا حاجى بابا »

قلت : « نفسى فداك ما قلت إلا ما رأيت » فتألف الشاه وسألنى : « أى شراع يجبر هذه السفينة ؟ وما طوله ؟ وما عرضه ؟ »

قلت : « إنها تسير بيخار الفحم » ثم أخذت أشرح معلوماتى في هذا الموضوع وهو ينظر إلي نظرة استغراب كأنى أقص عليه قصة من قصص السحرة . ثم أعاد سؤاله عن زجاجة التجسس . وسألنى عما رأيت غير ذلك . فقلت : « إن أعرب ما رأيته هو النور الذى ينبعث من منارة السفن في أثناء الليل ، فانه يرى عن بعد تهتدى به السفن ويتحرك ويدور ظاهراً بهيئة جسم عمودى ولا يتكلف إلا أقل النفقات ويؤدى أكبر النفع » . فدهش الشاه وأخذ يسألنى فشرحت له معلوماتى عن المنارات أيضاً وقال : « لقد كنت أعرف أن الانكيز يصنعون الأقمشة الجيدة ولكن لم يخطر ببالى أنهم يصنعون النور الغائن » . ثم قال : إنهم من أشهر التجار ولا يبعد أن يكونوا قد صنعوا هذا

فابتسم الشاه وقال : « ايس في الانصاف غضاضة فان الشيرازى شاعر معدوم النظير » ثم التفت إلى وقال : « هل في بلاد الفرنجستان شعراء ؟ اقلت : « نفسى فداك يا جلالة الشاه ليس عندهم أمثال السعدى والشيرازى ولكن عندهم شعراء على كل حال » فقال الشاه : « تعنى أنه ليس عندهم بلابل ؟ » قلت : « نعم ليس عندهم بلابل يا صاحب الجلالة ولكن عندهم كلاباً . والحق أن إنشادهم بالقياس إلى إنشادنا كالمواء بالقياس إلى التغريد »

فسر الشاه من هذا القول وضحك وقال : « إذن فعندهم شعراء ، فماذا عندهم غير ذلك ؟ هل نساؤم جيالات ؟ »

قلت : « نعم يا جلالة الشاه ، وأى جمال عندنا اليهوديات والروسيات والأرمنيات ومن كل جنس ودين وليس بين جوارى الشاه جارية انكليزية وفي الانكليزيات الجديدة بأن تكون في خدمة جلاتك » فقال الوزير : « وماذا لم تأت بجارية منهن هدية للشاه ؟ »

قلت : « تلك غلطة منى فلو أمر الشاه سفيره بأن يعود بجارية انكليزية لعرت بها عيناه » فقال الشاه : « لم تخطى في القول يا حاجى بابا » نحن نريد جارية انكليزية ليتم نظام حرمنا الشاهانى » ثم التفت إلى رئيس الوزارة وقال : « وماذا تذكره لنسأل عنه حاجى بابا ؟ » . فقال رئيس الوزارة : « زجاجة التجسس يا ولأى ! »

قال الشاه : « أخبرنى يا حاجى بابا هل رأيت عندهم زجاجة التجسس ؟ »

قلت : « نعم يا صاحب الجلالة . عندهم شيء غريب مستطيل اسطوانى الشكل وفي نهايته زجاجة

وما ذلك إلا لأن السفير فيروز خان قريبه وهو يرضى
على أن أنال مثل مرتبته وأنا مرؤوسه

وعشت مسروراً أنفق من المال الذي خبأته
قبل سفري عند قبر « زينب » ولم يحدث ما يسوءني
ولم ينقطع أمل في الحصول على الرتبة . وكنت أفضي
أوقاتي في التحدث مع أصحابي عن المعجائب التي
رأيتها في الفرنجستان وفي ترجمة بعض الكتب
الانكليزية

و كنت كثيراً ما أتشرف بزيارة الشاه وأسمعه
من كلماتي ما يقربني من أمل في الحصول على اللقب
والآن أيها القاري الكريم أتشرف بأن أقبل
قدميك وأطلب الحماية في جيب قفطانك وأرجو
الأ بقر الله ظلالك حاجي بابا خان

عبد اللطيف النشار « تمت »

النور ليفتنوا به أتباعهم الفرنسي الذي يمدون
النار في الهند

قلت : « هو ذلك يا جلالة الشاه » واقترحت
على جلالتة أن يأمر السفير بأن يرسل إليه صندوقاً
من المعجائب الانكليزية
فسألني : « هل صحيح ما يقولونه عن شدة
المواصف في انكلترا ؟ »

فخطر لي خاطر بديع وقلت : « نعم يا جلالة
الشاه إن المواصف هناك لا يدركها العقل ولقد
هبت عاصفة وأنا في الطريق وكنت قائماً في
فطوحت الرياح بثلاثة من أسناني وألقمتها في جوفني »
ثم فتحت في وأرْبته مكان أسنان ثلاث مكسورة
من رحمة جواد . وأكدت له أن العاصفة هي التي
أسقطتها فاستغرب الشاه هول تلك المواصف وحمد
الله على أنه لم يذهب إلى الفرنجستان وإلا لثرت
الريح لحيته من وجهه

ثم أمر لي الشاه بخمسة سنية وصرفني من
حضرتة مسروراً . فذهبت وأنا أدعوه ونفسي طامحة
إلى الحصول على لقب خان ، فأذعت بين إخواني أبي
سأحصل على هذا اللقب . وفي الحق أن كلمة « حاجي
بابا خان » ذات نعمة موافقة وجرس بديع فلماذا
لا يكون اسمي كذلك ؟

وقد تسمع الناس أنه أنعم علي بهذا اللقب ،
وصار الشاه نفسه لا يقول لي « ميرزا حاجي بابا » بل يقول
« حاجي بابا خان » ولا أعرف هل كان ذلك من أحمق
جلالتة أم جداً . ولكنه على كل حال قال حسن
بيد أن رئيس الوزارة كان يعصم أذنيه عن
أقوال الناس حول هذا اللقب وإضافته إلى اسمي ،

المجموعة الأولى

للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد